

د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سرى جدا !!

روايات
مصرية العبد

الصَّوْرَةُ الكَبْرَى

147

Looloo www.dvd4arab.com



ملف المستقبل

في مكان ما من أرض (مصر) ، وفي حقبة ما من
حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية
المصرية ، يدور العمل فيها في هدوء تام ، وسرية
مطلقة ؛ من أجل حماية التقدم العلمي في (مصر) ،
ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التي هي المقاييس
الحقيقية لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل
رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على
رأس فريق نادر ، تم اختياره في عناية تامة ودقة
بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ،
ويتحدى الغموض العلمي ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ،
وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١- كابوس ..

من المؤكد أن الظلام لم يكن أبداً دامساً مثمناً كان في
تلك الليلة التي غاب فيها القمر ، خلف غيوم سوداء كثيفة ،
لم تشهد الأرض مثلها قط ..

غيوم سميقة ..

قاتمة ..

ثقيلة ..

غيوم بدت ، وكأنها تجثم على أنفاس (سلوى) التي
تقطع ذلك الطريق الطويل ، الممتد إلى أمد البصر ، وكل
ذرة في كياتها ترتجف ..

وترتجف ..

وترتجف ..

رعب هائل ، ذلك الذي سرى في عروقها ، وغص به
حلقها ، وانتفض له قلبها ، مع شعورها الرهيب بالوحدة ..

بالعزلة ..

بالضياع ..

ويكل الهلع والارتياح فى أصاقتها ، هتفت :

- (نور) .. أين أنت يا (نور) ؟!

كم افتقدت زوجها ورفاقها ، فى تلك اللحظات العصيبة ،
وهى تتلفت حولها ، وقلبها يخفق ..

ويخفق ..

ويخفق ..

إنها لا تدرى حتى كيف وصلت إلى هذا المكان !!

إلى هذا اللتية ، المتشابك الطرقات ، المعقد المسالك ، الذى
يختبئ الخوف والرعب خلف كل منحنى فيه !!

كيف جاءت ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

آخر ماتكره هو أنها كانت تعمل ، فى مختبرها الخاص ، فى
مقر الفريق الجديد ، بعد أن انهار لمقر القديم ، مع تسحق مبنى
المخبرات العلمية المصرية بأكمله ، فى العملية لسابقة* ..

(* راجع قصة (البقعة المظلمة) .. المغفرة رقم (١٤٦) .

كل شيء كان يسير على مايرام ..

كل شيء ..

ثم فجأة ، سمعت تلك الصرخة ..

صرخة قوية ، رهيبية ، تحمل ألم وذعر وعذاب الدنيا
كلها ..

وتحمل أيضا صوت ابنتها ..

صوت (نشوى) ..

ويكل لوعة وارتياح الأم ، هبت من مقعدها ، وتدفعت
خارج معملها ، وهى تصرخ :

- (نشوى) ماذا حدث يا (نشوى) ؟! ماذا حدث ؟!

دفعت باب المعمل ، ووثبت خارجه ، و ..

وجدت نفسها هناك ..

فى ذلك الشارع المظلم الرهيب ..

ولم تدر كيف قادها معملها إليه ؟!

لم تدر أبدا !

فالمفترض أن يقودها ذلك المعمل إلى ممر طويل ، يضم
حجرات رفاقها ، وينتهي بحجرة مكتب (نور) ..

المقدم (نور الدين محمود) ، ضابط المخابرات العلمية
الأشهر ..

وزوجها ..

ولثوان ، تجعدت في مكاتها ، وهي تحدق في الشارع
المظلم الطويل ، بكل رعب الدنيا ، وصرخات ابتتها
(نشوى) تتواصل ، وتتباعد ..

وتتباعد ..

وتتباعد ..

ومرة أخرى ، صاحت بكل لوعتها :

- (نشوى) ؟! أين أنت ؟!

في هذه المرة ، بدا صوتها وكأنه يضيع في فراغ عميق ..

عميق إلى أقصى حد ..

أما صرخات ابتتها ، فقد راحت تخفت ..

وتخفت ..

وتخفت ..

كما لو أنها تضيع وسط الفراغ ..

وسط الظلام ..

ووسط الخوف ..

وبكل ما يعتمل في نفسها من مشاعر ، أرادت أن

تجري ؛ للحاق بابنتها ..

أرادت أن تجري ..

وتجري ..

وتجري ..

ولكنها لم تكن تدرى حتى من أين يأتي الصوت !

ولا أين ذهب !

حتى قدماها كالتنا ثقيلتين ..

مرهقتين ..

جامدتين ..

وبكل مرارة نفسها ، هتفت :

- لا .. لا .. ليس (نشوى) .. ليس (نشوى) ..

ثم راودتها فجأة فكرة جديدة!

إنه كابوس ..

نعم .. هو حتماً كابوس ..

الانتقال من المعمل إلى شارع مظلم مهجور ..

الظلام الدامس ..

صرخات (تشوى) غير محدودة المصدر ..

نعم .. هو كابوس ..

كابوس دون أدنى شك ..

كل ما عليها إذن هو أن تجاهد للخروج منه ..

للاستيقاظ ..

عندئذ ينتهى كل شيء ٤ ..

كل شيء ٤ ..

المهم أن تستيقظ ..

ولكن كيف!؟

كيف!؟

(رمزى) أخبرها ذات مرة ، باعتباره خبيراً نفسياً ، أن أفضل

وسيلة لتجاوز أى كابوس ، هو أن يكشف المرء أمره ..

أن يدرك أنه كابوس ..

بهذا فقط يتحطم ..

وينهار ..

ويتلاشى ..

وهاهى ذى قد كشفت أمره ..

وأدركت هويته ..

لماذا بقى إذن!؟

لماذا!؟

لماذا!؟

تركزت كل أفكارها حول هذه النقطة ، وأحاط بها صمت

ثقيل رهيب ، و

وفجأة ، انطلقت تلك الضحكة ..

وانتفض جسدها بمنتهى العنف ..

الضحكة كانت عالية ..

مجلجلة ..

ساخرة ..

شامتة ..

ظاهرة ..

شرسة ..

ووحشية ..

كانت أكثر الضحكات ، التي سمعتها في حياتها ، شرًا
وشيطانية ..

ولقد انتفض جسدها ..

وانتفض ..

وانتفض ..

ثم تجمدت كل ذرة من كياتها رعبًا ، مع ذلك الصوت
العسيق المخيف ، الذي تردد في كل مكان حولها ..

وحتى في أعماق أعماقها ..

روايات مصرية للجيب .. ملف المستقبين

تردد قتلاً بكل المشاعر السالف ذكرها :

- إنه ليس كابوسًا .

امتقع وجهها ، وشحب جسدها كله ، وكأثما تبخرت
الدماء من عروقها ، وهي تقول في ارتياح :

- ليس كابوسًا !؟ مستحيل !

تابع ذلك الصوت الرهيب :

- إنه أنا ..

وفي هذه المرة ، لم ينتفض جسدها فحسب ..

لقد انتفض كياتها ..

ووجودها ..

وكل ذرة في جسدها ..

وكل قطرة دم في عروقها ..

انتفضت من جسدها ، وحتى أعماق أعماق روحها ..

وبكل رعب الدنيا ، صرخت :

- أنت !؟ مستحيل !

ترددت تلك الضحكة الرهيبة مرة ثانية ..

وترددت ..

وترددت ..

ثم عاد وجودها كله ينتفض ، مع شعورها بأصابع باردة كالثلج ، تنغرس في كتفها ، وتجبرها على الاستدارة ، فاستدارت ، و ...

ولم تصرخ ..

أو حتى تنتفض ..

بل تجمدت ..

تجمدت تمامًا ، وكأنما تحوكت ، في جزء من الثانية ، إلى تمثال من الثلج ، وهي تحديق في ذلك للوجه أمامها ..

وجه رهيب ، لرجل أصلع ، مشقوق الجمجمة ، المزدوجة ، يتطلع إلى عينيها مباشرة بنظرة ساخرة ظالفة وحشية ، يعيونه الثلاث ..

نعم .. زوج من الأعين الطبيعية ، وعين ثالثة هناك ..

في منتصف الجبهة تمامًا ..

روايات مصرية لتجيب .. ملف المستقبل

ومع تلك النظرة ، نطق بصوته الرهيب :

.. لقد عدت .

وعندئذ .. عندئذ فقط ، انطلقت صرختها ..

انطلقت منها أقوى صرخة تجاوزت حلقها ، في حياتها كلها ..

« (سلوى) !!! يا إلهي ! (سلوى) !؟ »

وثب (نور) من مقعده ، داخل مقر الفريق ، في مبنى المخبرات العنمية الاحتياطي ، واندفع بكل ذعره ولوعه نحو زوجته ، التي راحت تنتفض بمنتهى العنف ، وتصرخ ..

وتصرخ ..

وتصرخ ..

واحتواها هو بين ذراعيه في سرعة ، هاتفا :

.. رياه ! ماذا أصابك ؟! ماذا حدث ؟!

أما زميله (رمزي) ، فقد تجمد في مقعده ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، دون أن يتيسر بينت شفة ، من فرط المفاجأة

والانفعال ، وهو يحدث في (سلوى) ، التي فتحت عينيها فجأة ، وهي بين ذراعي (نور) ، وبدا عليها رعب هائل ، وهي تتطلع فيما حولها ، قبل أن تهتف بصوت مختلق مبجوح :

- أين أنا ؟!

ربت عليها (نور) ، محاولاً تهدئتها ، وهو يقول :

- أنت هنا يا عزيزتي .. بيتنا .. في مقرنا الاحتياطي .. كل شيء على ما يرام .. كل شيء .

رفعت عينيها إليه بنفس الرعب ، ثم تلفتت حولها في ارتباك ، قبل أن تتشبهت به في هلع ، صارخة :

- (نشوى) .. أين (نشوى) ؟!

تصحمت (نشوى) للمكان في هذه اللحظة ، هاتفة في لوعة :

- أنا هنا يا أمي .. رياه ! ماذا حدث ؟ لقد سمعت صرختك من نهاية الرواق ، فاطلقت أعدو مذعورة إلى هنا .

سألتها (سلوى) ، في ذعر شديد :

- أنت بخير ؟!

أجابتها (نشوى) ، والدموع تتفجر من عينيها :

- بالتأكيد يا أمي .. بالتأكيد .. ولكن دعيني أسألك أنا السؤال نفسه .. أنت بخير ؟!

لم تفارقها نظرة الرعب في عينيها ، وهي تدير بصرها مرة أخرى فيما حولها ، وتتشبهت بزوجها وابنتها أكثر وأكثر ، ثم لم تلبث أن أطلقت ، من أعماق أعماقها ، زفرة مشتتة كالحمم ، وهي تقول :

- رياه ! لقد كان كابوسنا بالفعل .

تعتقد حاجبا (نور) في شدة ، في حين تغمم (رمزي) بمنتهى الدهشة :

- كابوس ؟!

هزت (سلوى) رأسها ، وأغمضت عينيها ، وهي تطلق زفرة أخرى ، مجيبة في توتر ، لم يفارقها بعد :

- لم أتم جيداً ليلة أمس ، ويبدو أنني قد أغمضت عيني من شدة الإرهاق وتواصل العمل ، فقلبني النوم ، و ..

صمتت لحظة ، انقضت خلالها جسدها ، قبل أن تتابع :

- وبإله من كابوس !

ضمها (نور) إليه في حنان ، متمنًا :

- لا بأس يا عزيزتى .. لا بأس .. لقد انتهى كل شيء الآن .

غمغت :

- حمدًا لله .. حمدًا لله .

تطلعت (نشوى) إلى وجه أمها الشاحب ، في إشفاق متعاطف ، وغمغت ، محاولة أن ترسم على شفتيها ابتسامة :

- لاريب في أنه كان كابوسًا بشعًا .

أومأت (سلوى) برأسها إيجابًا ، وتمتمت :

- أكثر مما تتصورون .

لم يحاول أحدهم سؤالها عما عانته في كابوسها ، إلا أنها لانت بالصمت لحظة ، ثم اعتذرت ، متابعًا :

- سأرويّه لكم .

غمغم (نور) :

- لست مضطرة لـ

قاطعته ببقايا توترها :

- أنا بحاجة إلى هذا .

التقطت نفصًا عميقًا ، في محاولة لتهدئة ما تبقى من ثلثتها ، ثم راحت تروي لهم كابوسها ..

كابوسها الرهيب ..

وفي صمت تام ، والتفعل رسم نفسه على ملامحهم في وضوح ، استمع الكل إليها بمنتهى الاهتمام ..

ثم انتهت من روايتها ..

وتواصل الصمت ..

لحقيقة كلمنة أو يزيد ، لم ينبس أحدهم بحرف واحد ، وكأنما يسترجعون ، ليس تفاصيل كابوسها ، وإنما أحداث صراعهم المميت ، مع ذلك الخصم الرهيب ، الذي رأته في كابوسها^{١١} ..

ذلك المسخ ثورائى ، ذو المخ المزوج ، والقدرة المذهلة على السيطرة على العقول والأشياء ..

الخصم الشيطانى الرهيب ..

(*) راجع قصة (بلا جسد) .. المغامرة رقم (١٤٣) .

وبصوت مرتجف خافت ، قطعت (نشوى) تلك الصمت ،
مغمضة :

- الواقع أثنى ، وحتى هذه اللحظة ، عاجزة عن تصديق
أن أمره قد انتهى .

قال (نور) فى صرامة :

- (أكرم) نسف رأسه برصاصات مسدسه ..

وصمت لحظة ، ثم استترك بصرامة أكثر :

- ولقد رأيناه جميعاً صريعاً .

تتم (رمزى) :

- هذا صحيح .

ثم ارتفع صوته ، وحمل رنة من التوتر ، وهو يضيف :

- ولكن المرء يعجز عن تصديق مثل هذه النهاية .. عقل

جبار ، كعاد يسيطر على العالم أجمع ، ينتهى برصاصة ..

أو حتى عدة رصاصات .. أليبدو لك هذا منطقياً ؟

صمت (نور) طويلاً هذه المرة ، وهو يسترجع عشرات
المواقف والأحداث ، قبل أن يقول فى حزم :

- ربما كان خصمنا ظفرة وراثية عبرية ، أو حتى نتاجاً
شيطانياً لتدريبات عقلية جبارة ، ولكنه ، وفى كل الأحوال ،
مجرد بشر ، والبشر ، مهما بلغت قوتهم ، أو بلغت سطوتهم ،
لهم مواطن ضعف واحدة .

وتعقد حاجباه فى شدة مع استطرادته الصرامة :

- وكلهم يموتون فى النهاية .

تبادل (رمزى) و(سلوى) و(نشوى) نظرة صامتة ،
قبل أن يغمغم الأوك فى خشوع :

- سبحان الحى ، الذى لا يموت .

ران عليهم صمت متوتر ، استغرق نصف دقيقة أخرى ،
فشد (نور) قامته ، وهو يحاول الابتسام ، قائلاً :

- على أية حال .. إنه مجرد كابوس .

حاولت (سلوى) أن تبتسم بدورها ، وهى تتمتم :

- حمداً لله .

كان من الواضح أن المناخ مازال ملبداً بغيوم القلق والتوتر ،
التي حاول (رمزى) تخفيفها ، وهو يلوح بيده ، قائلاً :

- كم أحسد (أكرم) و(مشيرة) الآن ، وهما يقضيان

إجازتهما هناك فى مدينة (شرم الشيخ) الساحرة .

ابتسمت (نشوى) ابتسامة هادئة ، وهى تقول :

- يقولون إن الطقس رائع هناك ، فى هذه الفترة من العام .

التقط (نور) نفساً عميقاً ، وهتف ، متحلاً لهجة مرحة :

- لى اقتراح .

التفت إليه الجميع فى اهتمام ، فتابع :

- لقد أنجزنا قدرًا جيدًا من العمل ، خلال الأسبوعين الماضيين ، فلمْ لانحصل على إجازة ، حتى نهاية هذا الأسبوع ، وننضم إلى (أكرم) و(مشيرة) ، فى (شرم الشيخ) ١٢

هتف (رمزى) :

- أظنها فكرة رائعة .

ولوّحت (نشوى) بيدها ، صائحة فى مرح طفولى :

- سأعد حقائبنا فوراً .

أما (سلوى) ، فقد اكتفت بابتسامة ياهنة ، ونظرة تحمل

الكثير من التوتر والقلق ، فأمسك (نور) كتفها ، وهو يسألها ، محاولاً تهدئتها بابتسامة كبرى :

- وماذا عنك يا عزيزتى ؟!

أدهشتهم جميعاً صرخة الأكم التى أطلققتها ، وهى تهب من مقعدها بحركة حادة عنيفة ، وهتف (نور) منزعجاً :

- رباه ! ماذا فعلت ؟!

صاحت به ، بكل زعر الدنيا :

- إيه ليس أنت .. ليس أنت .

سألها (رمزى) ، وزوجته (نشوى) تتشبّث به مذعورة :

- ماذا حدث إذن .

زاحت عيناها ، وهى تقول :

- إيه .. إيه ..

ثم استدارت فجأة ، وكشفت جزءاً من كتفها ، قائلة بكل الرعب :

- إيه هو .

واتسعت عيونهم جميعاً في ذهول ، وهم يحدقون في ذلك الأثر الواضح ، في ذلك الجزء من كتفها ..

في أثر تلك الأصابع ، التي انغرست فيه هناك ..

في أعماق الكابوس ..

الرهيب ..



٢ - صراع جديد ..

التقطت (مشيرة) نفساً عميقاً ، في استمتاع واضح ، وهي تجلس على شاطئ تلك القرية السياحية الجديدة ، في مدينة (شرم الشيخ) ، وأسبلت جفניה في استرخاء ، قليلة :

- يا لها من إجازة رائعة !

ابتسم (أكرم) ، الجالس إلى جوارها ، وضعف في هدوء :

- هذا صحيح .. انطقس رائع ، والهواء منعش ، وكل شيء ممتع للغاية ، فلا ينقصنا سوى الرفء ...

بتر عبارته دفعة واحدة ، فاتهقد حاجباها ، واعتكفت في مجلسها بحركة حادة ، وهي تقول :

- لا ينقصنا سوى ماذا ؟!

داعب ذقتها بسبائته وإبهامه ، وهو يبتسم ، قائلاً :

- أيمكن أن ينقصني شيء ، عندما تكونين إلى جوارى ؟!

هتفت :

- لن يخدعني هذا .

ضحك ، وهو يعيل نحوها ، متسائلاً في مرح :

- ما الذى يمكن أن يخدعك إذن ؟

مالت نحوه ، وقالت فى صرامة :

- ما الذى تشعر بأنه ينقصك هنا ؟

هز كتفيه ، قائلاً :

- مادمت قد بدأت الشجار ، فلم يعد هناك ما ينقصنا

يا عزيزتى .. الآن فقط أشعر وكأنا فى منزلنا .

اتعدت حاجبها فى غضب ، وهمت بالصراخ فى وجهه ،

و .. .

ولكن فجأة ، اختفى كل شيء من حولها ..

كل شيء ..

الشاطئ ..

والرمال ..

والبحر ..

والسما ..

و (أكرم) نفسه ..

كل شيء ثلاثى دفعة واحدة ..

حتى الضوء ..

بغثة أحاط بها ظلام دامس رهيب ..

وصمت مطبق ..

وبكل رعب الدنيا ، انتفض جسدها ، وحاولت أن تطلق

صرخة هائلة ، تحمل كل مشاعرها وانفعالاتها ..

حاولت ..

وحاولت ..

وحاولت ..

ولكن كل صرخاتها وانفعالاتها اختلقت فى حلقها ، الذى

غص بها فى عصف ، فسعلت فى قوة ، قبل أن تتمتع عيناها

فى ارتياح ، وهى تحنق فى بصيص من الضوء ، ظهر من

بعيد ..

بعيد جداً ..

وعلى ذلك البصيص من النور ، لمحتة ..

لمحت ذلك الشخص الجالس القرفصاء ، في وضع ثابت جامد ، وكأنه تمثال من الرخام البارد ..
 وفي جزء من اللحظة ، استعاد عقلها ذكريات قريبة ..
 قريبة جداً ..
 وانتفض جسدها بمنتهى الرعب ..
 واتسعت عيناها أكثر ..
 وأكثر ..
 وأكثر ..
 وباستماتة ، حاولت أن تبتعد ..
 أن تفر ..
 أن تتقاذف نفسها ..
 ولكن ذلك الجالس القرفصاء كان يقترب منها ..
 ويقترب ..
 ويقترب ..
 كان جالساً ، في الوضع نفسه ، وعيناه مغلقتان ، ولكن جسده ينزلق نحوها بسرعة مخيفة ..

وكلما اقترب منها ، كان جسدها ينتفض ..
 وينتفض ..
 وينتفض ..
 ومرة أخرى حاولت أن تصرخ ..
 حاولت أن تتطلق هاربة ..
 أن تبتعد بقدر المستطاع ..
 ولكن كل شيء فيها كان مجمداً ..
 ثقیلاً ..
 ملتصقاً بالفراغ من حولها ..
 كل شيء ..
 لذا فقد أطلقت لدموعها العنان ..
 دموع القهر ..
 والمرارة ..
 والرعب ..

أما ذلك الجالس القرفصاء ، فقد راح يقترّب أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ومع القترابه ، راحت ملامحه تتضح ..

وتتضح ..

وتتضح ..

وهتفت هي ، والرعب يقطر من كلماتها :

- لا .. مستحيل ! إنه ليس أنت !

اعتدل واقفاً فجأة ، على نحو مستحيل عملياً ، وهو يقول ، بصوته العميق المعخيف :

- بل هو أنا .

صاحت :

- ولكنك مت .

تطلعت من حلقه ضحكة رهيبية ، قبل أن يميل نحوها ، قائلاً :

- أهذا ما تتصورينه !؟

تراجعت هاتفة :

- أنت مت .. مت .. مت .

اعتدل ، ليطلق ضحكة وحشية أخرى ، ويقول :

- ليس بهذه السهولة .. التخصص مني ليس أبداً بهذه السهولة .

قائلها ، وهو يمد أصابعه نحوها ..

أصابعه الطويلة ، التحينة ، المعروفة ..

وبكل رعب ونفور الدنيا ، صرخت :

- لا .. كلنا تعلم أنك قد مت .. كلنا .

أمسك معصمها بأصابعه الباردة كالتلح فجأة ، وهو يميل نحوها ، قائلًا بصوت رهيب ، جمد لثم في كل نرة من كياتها :

- خطأ .. كلكم على خطأ .

شعرت بأنم رهيب .. من ملمس أصابعه ، فصرخت ، وهي تضربه بذراعها الأخرى !

- لا .. ابتعد عني .. ابتعد عني .

« مشيرة) .. ماذا أصابك !؟ »

لتنفض جسدها بمنتهى العنف ، وفحّت عينيها عن آخرهما ،
وهي تحنق في وجه زوجها (أكرم) ، الذي حمل دهشة العالم
كله ، وهو يمسك يدها ، مستطرذا :

- ماذا حدث ؟!

حدقت فيه بمنتهى الرعب ، واتسعت عيناها أكثر وأكثر ،
وهي تديرهما في كل ما حولها ..

في الشاطئ ..

والرمال ..

والبحر ..

وفي وجهه هو ..

ثم تهاوت فجأة ، وهي تلقى نفسها بين ذراعيه ، هاتفة :

- لامستحيل ! مستحيل !

ضمها إليه ، في حنان جزع ، وهو يقول :

- ماذا حدث يا (مشيرة) ؟! رياه ! هل أثرت غضبك إلى

هذا الحد ؟!

بكت على كتفه في حرارة ، وجسدها يرتجف بين ذراعيه ،
كطير وليد مبتل ، فهتف بها ، وقد شمله هلع شديد :

- ماذا حدث يا (مشيرة) ؟! ماذا حدث يا حبيبتي ؟!

تراجعت بحركة حادة ، وحدقت فيه بكل رعب الدنيا ،
وهي تقول :

- لقد عاد يا (أكرم) .. عاد .

انفض قلبه بين ضلوعه في قوة ، وهو يسألها :

- عاد ؟! من الذي عاد يا (مشيرة) ؟!

اتسعت عيناها على نحو مخيف ، وهي تجيب :

- هو يا (أكرم) .. هو .

ثم أشارت إلى رأسها ، مستطردة ، في لهجة أقرب إلى
الانهيار :

- الذي غرس نفسه هنا .

أدرك على الفور ما تعنيه ، واتسعت عيناها عن آخرهما
بدوره ، ووجد نفسه يهتف :

- مستحيل !

كم تمنى لحظتها لو أنه يحمل مسدسه على الشاطئ ،
وهو يكمل في عصبية متوترة :

- لقد قتلته بنفسى .. أطلقت النار على رأسه ، و ...

قضاعته ، وجسدها مازال يرتجف فى عطف :

- على أى رأس منهما ؟؟

التقى حاجباه فى شدة ، وأثار سؤالها فى أعماقه مزيجاً
من الغضب والتوتر والقلق ، فقال فى عصبية :

- لقد قتلته .. الكل يعلم هذا .

عادت تسأله مرتجفة :

- أنت واثق ؟؟

ازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يقول فى حدة :

- أى سؤال هذا ؟؟

صاحت فى حدة أكثر :

- السؤال الذى يفزعنى ، بعدما حدث الآن يا (أكرم) ..

لقد رأيتَه منذ لحظات .. لقد واجهنى وسط ظلام دامس ،

وأمسك معصمى بأصابع كالثلج ، و ...

قضاعها بمنتهى العصبية :

- هذا أمر يحتاج إلى استشارة خبير نفسى مثل (رمزى) ،
فربما يكون ما حدث مجرد انعكاس ل ...

صرخت لتبتر كلماته بغتة ، فهتف بها :

- ماذا حدث ؟؟

رفعت معصمها أمامه ، صائحة فى رعب هائل :

- وأى خبير يحتاج إليه أثر كهذا ؟؟

اتسعت عيناه مرة أخرى ، وهو يحتق فى معصمها ، الذى
حمل أثراً واضحاً لأصابع تحيلة طويلة ، قبضت عليه
بشدة ..

ومرة أخرى ، انقلص كياته كله ، بغضب هادر ، وثورة
بلا حدود ..

ثورة ، جعلته يتمنى أكثر ، لو أن مسدسه فى قبضته
الآن ؛ لينسف رأس تلك الوغد الرهيب مرة ثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

وبكل ما يعتدل في أعضائه ، نهض قائلاً :

- سنعود إلى (القاهرة) .

هتكت في انهيار :

- وما الفارق !! إنه في كل مكان .

صاح بكل الغضب والصرامة :

- لقد فنتته .

قالت ، ودموعها تفرق عينيها :

- كيف عاد إذن !!

صمت بضغ لحظات ، وهو يدير الأمر في رأسه ، وتطلع مرة أخرى إلى أثر الأصابع النحيلة على معصمها ، قبل أن يقول ، في غضب صارم عنيف :

- لقد كنت على حق منذ البداية .. ما ينقصنا هو الرفاق .

ولفتت هي وجهها في صدره ، ودموعها مازالت تلههمر ، وجسدها يواصل ارتجاجاته القوية ..

فهما قال أو فعل ..

ومهما تعارض العقل والمنطق ، كانت واثقة من أن الخطر لم ينته بعد ..

وأته قد عاد ..

عاد ليشعل صراعاً جديداً ..

ورهياباً ..

إلى أقصى حد ..

« إنها ليست خيالات أو كوابيس بالتأكيد .. »

نزع الدكتور (محمد حجازي) ، كبير الأطباء الشرعيين منظاره الطبي ، وهو ينطق العبارة برصاته المعهودة ، بعد أن انتهت من فحص الآثار ، على كتف (سلوى) ومعصم (مشيرة) ، ثم مط شفتيه ، وهز رأسه ، مستطرداً في اهتمام :

- ماتروته أممكم عبارة عن كدمات ضغطية ، أي تجمعات دموية ، ناشئة عن تهشم الأوعية الدموية الدقيقة ، إثر ضغط شديد ، على منطقة محدودة ، ومعظم الكدمات الضغوية ، ترك الجسم المستخدم أثراً يدل على طبيعته ، تماماً كما نرى أثر شبكة مبرد السيارات القديمة ، على جسد الشخص الذي

تصطمم به .. وفي حالتنا هذه، يبدو من الواضح أن للكدمات ناشئة عن أصابع نحيلة، طويلة، وبالغة القوة.

هتفت (مشيرة) بوجه منقطع:

- إذن فقد عاد.

رمقها الدكتور (حجازي) بنظرة صامتة، قبل أن يسأل في اهتمام:

- أأنتم ولتكون من أن هذا لم يحدث بسبب خطأ ما .. أو ...

قاطعه (أكرم)، في عصبية واضحة:

- (مشيرة) كانت تجلس إلى جوارى، على شاطئ مدينة (شرم الشيخ)، عندما ظهرت هذه الآثار على معصمها بيقة، بعد أن شردت لبضع ثوان.

ثم أشار بسببته، مضيفاً في حدة:

- ودون أن تغادر موقعها.

ارتفع حاجبا الدكتور (حجازي) لحظة، ثم عدا ينخفضان، وتراجع في مقعده في بطء، وراح يداعب منظاره الطبي بين أصابعه، وهو يقول:

- أمر عجيب! عجيب بحق!

قال (نور) في حزم:

- ولكنه ترك آثاراً مادية واضحة يا دكتور (حجازي)، وهذا يحتم علينا البحث عن تفسير منطقي له.

أشار الدكتور (حجازي) إلى الآثار الواضحة، على معصم (مشيرة)، وهو يتسائل:

- وأي تفسير منطقي لأمر كهذا!!

شد (نور) قامته، وقال بحزم أكبر:

- هناك حتماً تفسير منطقي، لأي شيء في الوجود .. ربما يتجاوز حدود إدراكنا، في لحظة ما، أو زمن ما؛ فقط لأننا نجهل قواعده وقوانينه، إلا أنه يظل منطقياً، وفقاً لمقتضيات الطبيعة نفسها ..

ولتقط نفساً عميقاً، ليتابع في صرامة:

- في العصور القديمة كان البرق يفزعهم، والإعصار يبدو لهم كغضب من الآلهة، لأنهم كانوا يجهلون قوانين الطبيعة، وطبيعة الكهربية الاستاتيكية، وقواعد اختلاف الضغط الجوي، وتحرك موجات الحرارة والرياح، ثم تعظموا كل هذا، وأدركوه، وتلاشى خوفهم، وتحول إلى فضول، وشغف، ولهفة أكثر وأكثر إلى المعرفة.

قال (رمزى) فى حماسة :

- ألقم جيداً ما تعنيه يا (نور) ، فما يبدو لنا اليوم كظاهرة غامضة فوق طبيعية ، قد يتحول فى الغد إلى أمر طبيعى تماماً ، لو أدركنا قواعده وقوانينه ، والعوامل التى تحكمه فى الطبيعة .

أشار (نور) بمشايته ، قائلاً :

- بالضبط .

هزّ (أكرم) رأسه ، قلقاً فى حدة :

- عظيم .. وحتى نتوصل إلى العوامل والقواعد والقوانين واللوائح ، هل يضمن لى أحد حدوث هدنة ما ، بيننا وبين ذلك الوغد ، الذى عاد من عالم الموت ، ليبيت فينا الرعب والفرع من جديد .

اعتدل الدكتور (حجازى) بحركة حادة ، فى حين قال (نور) فى صرامة :

- لا أحد يعود من الموت يا (أكرم) .

وقالت (سلوى) فى توتر :

- ربما هو شخص آخر .

هتفت (مشيرة) :

- مستحيل ! إنه يعرف من نحن .

كرّر (نور) ، بمنتهى الصرامة :

- الموتى لا يعودون .

قال (أكرم) فى عصبية ، وهو يضم زوجته (مشيرة) إليه ، وكأما يخشى أن يفقدها فى أية لحظة :

- كيف تفسرون ما حدث إذن ؟!

كرّر (نور) بمنتهى الصرامة :

- هناك تفسير ما احتمالاً .

هزّت (مشيرة) رأسها ، قائلة فى توتر شديد :

- أريد تأكيداً .

سألها (رمزى) :

- لأى شيء ؟!

صاحت ، وهى تلوح بذراعيها فى التفعال :

- لأنه قد لقى مصرعه .

تفجرت صيحتها في المكان ، فاطلقت بعدها موجة رهيبه من الصمت ، أحاطت بكل شيء ، وغلقت كل المشاعر ..

ووسط ذلك الصمت ، أدار الكل عيونهم ، في وجوه بعضهم ، قيل أن تقول (مشيرة) في عصبية :

- (لكرم) اطلق النار على رأسه ، وكلكم رأبتموه ساقطاً ، والدماغ تنزف منه ، ولكن ماذا عن موته ؟! ألم يحدث قط ، أن أصيب شخص ما في رأسه ، ثم نجا من الموت ، على نحو أو آخر ؟!

التفت الكل إلى الدكتور (حجازي) ، وكأنهم يسألونه الجواب ، فتحنج ، مغمغماً في توتر :

- لا شيء مستحيل ، في عالمنا هذا ، ولكن الاحتمالات ضئيلة للغاية ، مع إصابة مباشرة ، في منتصف الجبهة ، فهذا كقول بأن يتهتك المخ ، و ...

قاطعته (مشيرة) في عصبية :

- تذكر أننا لا نتحدث عن شخص له مخ واحد .. بل عن مسخ له مخ مزدوج .

اتعدد حاجبا الدكتور (حجازي) مرة أخرى ، فسأله (نور) في قلق :

- ما نقوله (مشيرة) منطقي .. أليس كذلك ؟!

تراجع الدكتور (حجازي) في مقعده ، دون أن يجيب ، فتساءل (رمزي) في قلق :

- دكتور (حجازي) .. أنت من فحص جثة ذلك المسخ ، واستخرج تقرير مصرعه .. أليس كذلك ؟!

صمت الدكتور (حجازي) بضع لحظات ، قبل أن يجيب ، في صرامة واقتضاب :

- كلاً .

بدت الدهشة على وجوههم جميعاً ، وقال (نور) في توتر :

- سيدي .. وفقاً للتقارير الرسمية ، تم نقل جثة ذلك المسخ إليك مباشرة ، فور الـ ...

قاطعته الدكتور (حجازي) في صرامة :

- ليس جثته .

ثم عاد يعتدل في مقعده ، مضيفاً بكل الحزم :

- فعندما وصل تلك الشيء إلى هنا ، لم يكن جثة هامدة .. بل كان على قيد الحياة .

واتسعت العيون عن آخرها ..

وخفقت القلوب بمنتهى العنف ..

فما صرّح به الدكتور (محمد حجازي) ، في تلك اللحظة ، كان مفاجئاً ومذهلاً ، ومخيفاً بحق ..

وبكل المقاييس .



٣- نتائج الفحص ..

كثرت الأمور كلها مشتتة ، والمشاعر كلها قد بلغت ذروة الانتهاب ، في ذلك اليوم ، الذي أطلق فيه (أكرم) النار ، على رأس ذلك الخصم الرهيب ..

القوات الخاصة شنت حرباً محدودة ، في لرقى أحياء (القاهرة) الجديدة ..

مبنى المخابرات العلمية تهار ..

ومبنى إدارة الأبحاث ، انتابح له ، انسحق سحقاً ..

والعالم كله صار قاب قوسين أو أدنى من النهاية ..

نهاية حربيته ..

وكرامته ..

ومستقبله ..

ثم فعلها (أكرم) ..

أطلق النار ، ونسف رأس الخصم الرهيب ..

وانتهت الملحمة فجأة ..

ملحمة عقل جيل ، انتهت برصاصات تقليدية ، عالية ، بسيطة ..

وفي ذلك اليوم ، هرع الدكتور (محمد حجازى) ، كبير الأطباء الشرعيين ، إلى مختبره ، استجابة لاستدعاء خاص للغاية ، من رئيس الوزراء شخصياً ؛ لفحص جثة ذلك المسخ ، وإصدار تقرير واف بشأنه ..

وفي سيارة خاصة مجهزة ، محاطة بحراسة قوية مشددة ، وصل جسد ذلك المسخ إلى المشرحة ..

وكما يحدث فى مثل هذه الأحوال ، أحاط رجال الأمن بالمكان ، إحاطة لسوار بالمعصم ، وتم تشغيل كل آلات الرصد والمرئية ؛ لتسجيل عملية الفحص لحظة بلحظة ، وبلغ الدكتور (حجازى) إلى المكان ، مع طبيب مساعد شاب ، وارتفع حاجباه فى دهشة ، وهو يلقي نظرة أولى على الجسد ، قاتلاً :

- رباہ ! أى شيء هذا ؟؟

بدأ الطبيب الشاب شديد الانفعال ، وهو يقول :

- جمجمة مزدوجة ، وعين ثالثة فى منتصف الجبهة ؟!
هذه حالة لم تسجلها كل مراجع الطب ، التى عرفتها البشرية ، عبر تاريخها كله .

غمغم الدكتور (حجازى) :

- لكل شيء بداية يا ولدى .

ثم ضغط زر جهاز التسجيل التقليدى البسيط ، الذى يحتفظ به دوماً ، وقال وهو يفحص الجسد المسجى أمامه ببصره :

- بالفحص الظاهرى ، يبدو أن الجسد لذكر ، فى أواخر الثلاثينات أو أوائل الأربعينات ، ما بين الملامح الشرقية والقوقازية ، وجسده كله يبدو طبيعياً متناسقاً ، يميل إلى النحول والقوة بعض الشيء ، فيما عدا الرأس .

غمغم الطبيب الشاب :

- هل تسمى هذا رأساً عادياً ؟؟

أشار إليه الدكتور (حجازى) بالصمت فى صرامة ، وهو

بواصل :

- الجمجمة مزدوجة ، تبدو أشبه بالمشقوقفة من منتصفها ، على نحو غير مسجل ، فى أية مراجع طبية أو عظمية ، وفى منتصف الجبهة تماماً ، توجد عين إضافية ثالثة ، أكبر قليلاً من العينين الطبيعيتين ، وفوقها مباشرة ، وإلى اليسار

منها ، توجد ثلاثة ثقوب .. مداخل رصاصات ، اخترقت الجمجمة من مسافة تتراوح بين المترين والأربعة أمتار ، وتوجد آثار بارود غير دخاني ، على بعض أطراف الوجه والجبهة ، و ...

بتر عبارته ، عندما هتف الطبيب الشاب فجأة ، بصوت مرتجف مذعور :

- يا إلهي !

استدار إليه الدكتور (حجازي) ، متسائلاً في قلق :

- ماذا هناك !!

أشار الطبيب الشاب إلى جسد المسخ ، وهو يتراجع عن منضدة الفحص ، قائلاً في توتر شديد :

- لقد تحرك .

ابتسم الدكتور (حجازي) ، وارتدى قلنسوة الفحص للمطالمة ، وهو يقول :

- ما حدث ليس حركة إرادية يا ولدي ، ولكنه اختلاف درجات الحرارة للجثة ، هو الذي ..

قاطعه الطبيب الشاب ، وهو يتراجع أكثر :

- أنا أعرف هذا .

بدا الضيق على وجه الدكتور (حجازي) ، لما جعله هذا من تعارض ، مع كل قواعد الذوق واللباقة ، وآداب التعامل بين الأستاذ وتلميذه ، وهم بالتعبير عن هذا الضيق ، لولا أن تابع الطبيب الشاب ، في ذعر واضح ، وهو يتعد عن منضدة الفحص أكثر وأكثر :

- ولكن ما حدث يختلف .

ثم تسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يضيف مرتجفاً :

- لقد حاول إمساك معطفي .

اتعدت حاجبا الدكتور (حجازي) في شدة ، وهو يحدث في الطبيب الشاب مستنكراً ، قبل أن يدير عينيه مرة أخرى ، إلى الجسد المسجن أمامه ، و ...

واتنفض جسده في عنف ..

ففي هذه المرة ، وعلى عكس المرة السابقة ، كانت تلك العين الثالثة ، في منتصف جبهة ذلك المسخ الرهيب ، مفتوحة ..

وكانت تحدق فيه ..

مباشرة ..

وبحركة أشبه بمن أصابته صاعقة ، تراجع الدكتور
(حجازى) ، عن مائدة الفحص ، وهو يهتف :

- مستحيل !

صاح به الطبيب الشاب ، وهو يلتصق بالجدار فى رعب :

- لم أقل لك !!

لم ينبس الدكتور (حجازى) ببنت شفة ، وهو يحدق
ذاهلاً فى جسد ذلك المسخ ، وفى عينه الثالثة ، فى منتصف
جبهته ، والتي مالت فى بطنه ، لترصده وذلك الطبيب
الشاب ، فى نفس الوقت الذى بدأت فيه الحرارة تدب نسبياً
فى الأطراف ، فتحركت الأصابع ، وبدأت عروق العنق
تنبض ثانية ..

وبكل رعب الدنيا ، غمغم الطبيب الشاب :

- لقد عدنا إلى الحياة .

أجابته الدكتور (حجازى) فى صرامة :

- لا أحد يعود من الموت .. الله (سبحانه وتعالى)

وحده يحيى الموتى بإرادته .

ثم اتفقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف ، وقد بدأت
عقليته العلمية تطلق فى عروقه ذلك الفضول الإيجابي ،
الذى يزيغ فى المعتاد كل المشاعر الأخرى جانباً :

- إننا أمام ظاهرة فريدة .. ظاهرة تستحق الدراسة .

غمغم الطبيب الشاب :

- معذرة يا دكتور (حجازى) .. اغفرنى ذعري ومخاوفي .

ثم اندفع فجأة ، نحو باب حجرة الفحص ، مستطرداً :

- ولكننى لا أستطيع البقاء هنا .

هتف به الدكتور (حجازى) معترضاً :

- أحتاج إلى من يعاوننى فى فحص هذه الظاهرة .

توقف الطبيب الشاب عند باب الحجرة ، وألقى نظرة
رعب أخرى على ذلك المسخ ، الذى ظلت عيناه العاديتان
مغلقتين ، فى حين راحت عينه الثالثة ترصد كل ما حولها
فى توتر ، وأطرافه تستعيد نشاطها رويداً رويداً ، ثم قال
بكل عصبية وذعره ومخاوفه :

- ليس أنا بالتأكيد .

ثم وثب خارج المكان ، هاتفاً :
- الفحصها وحدك هذه المرة .

ارتفع حاجبا الدكتور (حجازي) ، في دهشة مستتكرة ،
ثم عادا ينعقدان في ضيق ، وهو يلتفت إلى ذلك المسخ ،
الذي بدا من الواضح أنه يحاول استعادة السيطرة على
جسده تدريجياً ، على الرغم من إصابة دماغه البالغ ..

وعلى الرغم من الخوف ، الذي سرى في عروق الدكتور
(حجازي) ، راح فضوله العلمي يتصاعد ويتصاعد ، حتى
أزاح مشاعره كلها جانباً ، ودفعه إلى أن يعاود الاقتراب من
منضدة الفحص ، قائلاً عبر جهاز التسجيل الرقمي :

- في مفاجأة غير متوقّعة ، دب النشاط في الجسد للمعد
للفحص ، على الرغم من أن إصابات الرأس ، التي نسفت
مؤخرة الجمجمة ، وأخرجت بعض أجزاء منهتكة من المخ ،
تحتم حدود الوفاة ، أو العجز الكلي للشامل على الأقل ..

وصمت لحظة ، وهو يدير عينيه في جسد المسخ ، ثم توقّف
عند العين الثالثة ، التي تطلعت إليه مباشرة ، وكرّر عبر
جهاز التسجيل :

- من الواضح أننا أمام ظاهرة غير تقليدية ، وغير مألوّفة ،

وغير مسجلة أيضاً ، في أية مراجع طبية أو علمية سابقة ..
بل وغير ممكّنة طبيّاً أو علمياً ، ولكنها تستند إلى تفسير علمي
ومنتقني تماماً .

مرّر سبأته أمام تلك العين الثالثة ، وتأكّد من أنها تتابعه
في اهتمام واضح ، قبل أن يتابع :

- من الواضح أن وجود مسخ مزدوج ، في حالة طفرة
وراثية غريبة ، هو المسئول عن هذه الظاهرة ، فالرصاصات ،
التي أصابت منتصف الجبهة ، فوق العين الثالثة مباشرة ،
اخترقت الجزء العلوي من أحد المخين ، الذي يبدو أنه أكبر
حجماً - نسبياً - من الآخر ، وأنه يتجاوز الخط الوهمي
لمنتصف الجبهة ، مما أدى إلى تهتكه تماماً ، في حين بقي
نصف المخ الآخر ، الأقل حجماً ، سليماً من الناحية الطبية
أو التشريحية .. ولأن المخين يرتبطان بمخيخ واحد ، وحبل
شوكي واحد ، ولأن الجسد قد اعتاد التعامل مع كليهما في آن
واحد ، فإن غياب النصف الأكبر فجأة ، قد أدى إلى غيبوبة تامة ،
وانخفاض شديد في المعدلات الحيوية ، بدا للفحص المبني ،
في موقع الإصابة ، أشبه بالوفاة ، إلا أن النصف الآخر ، بعد
اعتياده غياب النصف المهيم ، قد بدأ يقتبس سماته ،
أو قدراته على إدارة الأمور ، وهو الآن ، في ساعة الفحص
وتاريخه ، يتكرب على استعادة السيطرة على كامل الجسد منفرداً .

وصمت مرة أخرى ، ليتابع حركة الأطراف ، التي تتحسن تدريجياً ، قبل أن يضيف في توتر ملحوظ ، وقلق واضح :

- ويبدو أنه لن يمضي وقت طويل قبل أن ينجح في هذا .

« إذن فهو حي .. »

هنا (أكرم) بالعبارة ، بكل توتر الدنيا ، لينتزع الدكتور (محمد حجازي) من أفكاره وذكرياته ، ويقطع حديثه المتصل ، فاستدار إليه هذا الأخير ، وهو يقول ، في حذر أدركه الجميع في وضوح :

- إنني أقصن عليكم ما حدث يومئذ .

قالت (سلوى) في حدة :

- المهم أنه حي .

بدا التردد على الدكتور (حجازي) ، وهو يقول ، في حذر زائد :

- ربما .

سأله (نور) ، في شيء من الصرامة :

- وما لذي تغنيه كلمة (ربما) هذه هنا يا دكتور (حجازي) !!
أنت الطبيب الذي أجرى الفحص ، ووجدك يمكنك أن تحسم هذا الأمر في وضوح .

التقط الدكتور (حجازي) نفساً عميقاً ، وتراجع في مقعده في بضع ، وبدا عليه توتر شديد ، وهو يجيب :

- ليس بالضرورة .

سأله (رمزي) في اهتمام قلق :

- ما الذي يعنيه هذا ؟

تردد الدكتور (حجازي) بضع لحظات أخرى ، ثم أجاب في عصبية :

- الواقع أنني لم أكمل عملية الفحص .

اتسعت عيونهم في دهشة ، وتبادلوا نظرة شديدة التوتر ، تكتمشت (مشيرة) بعدها ، بين ذراعي زوجها ، وهي تردّد في ارتياح :

- يا إلهي ! يا إلهي !

وهتفت (نشوى) ، في توتر بالغ :

- دعني أضمن ما حدث .. لقد استخدم قواه العقلية الجبارة ،

و

قاطعها الدكتور (حجازي) في توتر :

- لم يكن باستطاعته هذا .

سأله (نور) في اهتمام :

- ولم لا ؟!

أجاب في سرعة ، وبلهجة لم يفارقها التوتر :

- قواه العقلية الجبارة كفت تنشأ من قنرات مخه المزدوج ،
على الترابط والتأزر ، وإطلاق كل الطاقات الكامنة في الجسد ،
ومع إصابة المخ الأكبر حجماً ، وتهتكه تماماً ، كان من
المستحيل أن يستعيد قواه الجبارة ، بأى حال من الأحوال .

هتفت (نشوى) :

- ولكنك قلت إنه سيستعيد سيطرته على جسده حتماً ،
مع مرور الوقت .

أشار بسببته ، مجيباً إياها ، في حزم متوتر :

- على جسده ، وليس على قدرات عقله .

أشارت (مشيرة) إلى معصمها ، وهي تهتف في غضب :

- وماذا عن هذه الأثار ؟! ألا تعنى أنه قد تجاوز حتى

روايات مصرية للجيب .. ملف المستقل

قدرته العقلية السابقة ؟! لاحظ أنه لم يكن باستطاعته أن
يفعل هذا ، عندما كان بكامل قوته .

هز الدكتور (حجازي) رأسه ، قائلاً في عصبية :

- لا يمكنك الجزم .

همت (مشيرة) بالصراخ في وجهه محتجة ، ولكن
(نور) استوقفها بإشارة صارمة من يده ، وهو يقول
للدكتور (حجازي) :

- سيدي .. هذه ليست مشكلتنا الآن ، فربما كان هذا
باستطاعة ذلك المسخ فيما مضى ، ولكنه لم يستخدمه ،
أو يلجأ إليه فحسب ، ولكن السؤال الآن هو : لماذا لم تكمل
فحص جسده ، بعد أن استعاد مخه الآخر وعيه بالفعل ؟!

نقل الدكتور (حجازي) بصره بينهم ، في توتر شديد ،
قبل أن ينخفض صوته ، على نحو لا يناسب شخصيته ،
وهو يغتمم :

- لا .. لا يمكنني أن أخبركم .

تساعتت (سلوى) في توتر :

- ولم لا ؟!

ترد كبر الأطباء الشرعيين بضع لحظات أخرى ، وانخفض
صوته أكثر وأكثر ، وهو يتمم :
- لقد أقسمت .

بنت دهمشة علومة على وجوههم جميعاً ، وتساعل (نور)
في حذر :

- أقسمت على ماذا !!

أجابته الدكتور (حجازي) ، في توتر بالغ :

- على أن أحفظ السر .

هتفت (مشيرة) في لهفة :

- أي سر !!

حدق الدكتور (حجازي) في وجهها ، بنظرة تقرب إلى
الارتياح ، قبل أن يهز رأسه في قوة ، هاتفاً :

- لا .. لا يمكنني أن أخبركم .

سأله (نور) في حزم واضح :

- أقسمت لمن .

استمع وجه الدكتور (حجازي) ، على نحو عجيب ، وهو يقول :
- (نور) .. أرجوك .. أن تعرف التزامي الأمني ، وتذكر
أنه ليس باستطاعتي أن ..

قاطعته (أكرم) ، بغضب هادر ، واستنكر بالغ :

- ليس باستطاعتك !! ليس باستطاعتك ماذا يا دكتور
(حجازي) !! إننا نواجه خطراً ، لا قبل لنا به ، وعدواً نقا منه
ويلات ، تفوق ويلات الاحتلال نفسه^{١٦} .. ألم تر ما فعله بنا ،
في صراعنا السابق !! ألم تشاهد بنفسك حطام مبنى المخبرات
العلمية ، أو مركز الأبحاث التابع له !! ألم تفحص بنفسك جثث
الضحايا ، الذين سيطر على عقولهم ، وأجبرنا على القضاء
عليهم ، أو أجبرهم على قتل أنفسهم ، دون ذرة واحدة من
الرحمة أو لشفقة !! ألا يمكنك أن تتخيل ما يمكن أن يحدث ،
لو أنه عاد مرة أخرى ، بكل قوته وقدراته ، وكل شروره
وشيطانيته ، لينتقم منا ، أو من العالم الذي هزمه !!

غمغم الدكتور (حجازي) ، بكل توتر الدنيا :

- لا يمكنه أن يعود .

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. لمغامرة رقم (٧٦) .

أشارت (سلوى) إلى كتبها ، قائلة في حدة :

- ولكنه عاد بالفعل .

هز كبير الأطباء الشرعيين رأسه ، قائلاً :

- ربما هناك تفسير آخر .

هتكت (نشوى) :

- وربما هذا هو التفسير الوحيد .

هتف الدكتور (حجازى) ، محاولاً الدفاع عن نفسه :

- ما زلنا عند كلمة (ربما) .

أجابته (نور) فى حزم :

- دعنا نحسم الأمر إذن .

تساءل الدكتور (حجازى) ، فى حيرة متوترة ، ووجه

يدعو إلى الإشفاق والتعاطف :

- وكيف ؟!

أجابته (نور) فى سرعة :

- بالمعلومات .

صمت الكل تماماً ، بعد جوابه هذا ، وأدار الدكتور

(محمد حجازى) عينين زلقتين ، فى وجوههم جميعاً ،

دون أن ينبس ببنت شفة ، وإن أنبأتهم ارتجافة شفتيه ،

بأن كلمات (نور) قد أصابت هدفها بدقة ، لذا فقد تابع هذا

الأخير فى حزم مهذب :

- لا يمكنك أن تواجه العدو .. أى عدو ، دون أن تكون لديك

معلومات كافية عنه ، وإلا فأتت أشبه بالأعشى ، الذى يطارده فريقاً

من المصريين .. المعلومات هى سلاحنا الوحيد ، للكشف عن

طبيعة عدونا ، وهويته ، ونقاط قوته وضعفه ، والأسلوب الأمثل

لمواجهته ، وللقضاء عليه أيضاً ، إذا ما حتمت الظروف هذا .

تمتم الدكتور (حجازى) ، فى خفوت شديد :

- لا يمكننى أن أمدكم بكل هذا .

أجابته (لكرم) ، وهو يكتم غضبه بصعوبة :

- امنحنا ما لديك إذن .

بدت حيرة شديدة للتوتر ، على وجه الدكتور (حجازى) ،

الذى راح يحك نقه فى عصبية شديدة ، جعلت (رمزى)

يقول ، محاولاً تهدئته :

- لا تتسأنا رجال مخبرات عظمية ياسيدى .

أشار الدكتور (حجازى) إلى (مشيرة) ، وهو يجيب فى سرعة :

- هى ليست كذلك .

تراجعت (مشيرة) بحركة حادة كالمصعوفة ، وهى تهتف فى غضب شديد :

- ماذا تقصد ؟؟ هه .. ماذا تقصد بقولك هذا ؟؟

اعتدل الدكتور (حجازى) ، وقال فى صرامة شديدة ، وعصبية واضحة بالغة :

- سأخبر (نور) وحده .

ثم استدرك ، وهو يلوح بسنابته ، فى وجوههم جميعاً :

- من أجل صالحكم جميعاً .

وقبل أن يتيسر أحدهم ، استدار إليهم (نور) ، قاتلاً بلهجة امرأة صارمة ، تحمل نحة من القسوة :

- انتظرونا فى الخارج .

احتقن وجه (مشيرة) ، وهمت بأن تقول شيئاً ، ولكن (أكرم) أمسك ذراعها فى قوة وصرامة ، وهو يقول :

- هيا .. سنقادر المكان جميعاً .

احتقن وجهها أكثر ، وهى تغامر مع الآخرين ، وأغلق (نور) الباب خلفهم فى حزم ، ثم التفت إلى الدكتور (حجازى) ، قاتلاً فى هدوء ، لم يخل من حزم وصرامة مهذبين :

- هاتحن أولاء وحدنا يا دكتور (حجازى) .. والآن ماذا حدث يومئذ ، ومنعك من استكمال عملية اللحص .

غمغم الدكتور (حجازى) ، وهو عاجز عن كتمان توتره البالغ :

- سأخبرك يا (نور) .. سأخبرك بكل شيء يا ولدى .

وأخبره بمأديه ..

وكانت قصة مذهلة ..

مذهلة بحق .

كالمعاد ، منذ مئات السنين ، كان كل شيء هائلاً ،
صامتاً ، ساكناً ، معتداً هناك ..

في جهال (التبت) ..

المشهد نفسه ، الذى يمكن أن تراه الآن ، وفى
المستقبل ، أو حتى فى الماضى السحيق ، حتى إنه لو جاء
فنان ، من القرن العاشر الميلادى ، ليراجع لوحة رسمها
أيامها ، على ما أمامه فى بدايات القرن الحادى والعشرين ،
لما وجد اختلافاً يذكر ، اللهم إلا فى أشكال السحب
وحركتها ..

جبال عالية ..

مساحات شاسعة ..

جليد يغطى كل شيء ..

كل شيء بلا استثناء ..

حتى قمة ذلك المعبد البوذى القديم ، العريق ، المقام على قمة
جبل متوسط ، يكاد يختفى بين القمم الشاهقة من حوله ..

ذلك للمعد بالتحديد ، بدأ أشبه بجزء من لوحة ساكنة ،
على الرغم من الدخان الخفيف للغاية ، الذى يتصاعد من
مدخنته الخلفية الصغيرة ، ومجموعة الرهبان ، الذين
يتشاركون فى التحول الشديد ، والرعوس الصلعاء ،
والعيون المغلقة فى استرخاء ، وتلك الجلسة القرفصائية
العميقة ، مع الملابس الرثة الخشنة ، التى لا تكاد تستر
أجسادهم ، على الرغم من برودة الطقس الرهيبة من
حولهم ، والتى بدوا وكأنهم لا يشعرون بها مطلقاً ..

أو أنهم قد تحولوا إلى تماثيل جامدة ..

تماثيل من الرخام ..

أو من الثلج ..

والواقع أنهم ، فى جلستهم للجامدة الثابتة هذه ، كانوا
يمارسون نوعاً من الطقوس ، التى مارسها أجدادهم ، منذ
مئات السنين ..

التأمل ..

تلك الرياضة الروحية الفريدة ، التى تسمى بالعقل ، وتطلق
كافة قدراته وطاقته ، وتمنحه القدرة على ترويض الجسد ،
والسيطرة حتى على كل عضلاته وأجهزته اللاإرادية ..

وفي تلك اللحظة ، التي انتقل فيها المشهد إليهم ، كانوا قد استغرقوا ما يزيد على اثنتي عشرة ساعة كاملة ، في ممارسة تأملهم هذا ..

دون توقف ..

أو نوم ..

أو حتى طعام ..

بل حالة من شبه اليقظة ..

وشبه الغيوبة ..

حالة استسلمت فيها الأجساد ..

وانطلقت فيها العقول ..

انطلقت ..

وانطلقت ..

وانطلقت ..

ولن تكون هناك ذرة واحدة من المبالغة ، لو قلنا إجماعاً كانوا يرون ما حولهم ، دون أن يفتحوا أعينهم ..

ويلمسون كل ما يحيط بهم ، دون أن يستخدموا أصابعهم ..

ويعرفون ما يدور في رعوس بعضهم ، دون أن يتحدثوا ..
أو حتى يتقاربوا ..

فدراهم كانت هائلة بحق ..

هائلة إلى حد لا يمكن تصوّره ..

لذا ، كان من النادر أن يتحدثوا ..

من النادر جداً ..

صلاتهم العقلية القوية جعلتهم بغير حاجة إلى الحديث ..

أو إلى أي تواصل آخر ملموس ..

تكفيهم عقولهم ..

فقط عقولهم ..

وفي جلستهم المشتركة هذه ، والتي تضمّ رهبان كل المعابد الصغيرة ، المنتشرة في جبال (لنبت) ، ولتي تحدث مرة واحدة كل عام ، لم يكن هناك اتفاق مسبق على فترة تأمل يعينها ..

ولكن الكل كان يعلم متى يبدأ ..

ومتى ينتهي ..

وعلى الرغم من أن السحب الداكنة ، كانت تخفى قرص الشمس تملأ ، إلا أن أضواء الشفق ، التي تبدو من خلف قمم الجبال ، كانت تشير بوضوح إلى أنه وقت المغيب ..

الشمس اجتازت سماء (التبت) ..

واستعدت للرحيل ..

وفي أصاقي كل منهم ، ودون أن يتبادلوا حرفاً واحداً ، أو يفتح أيهم عينيهِ ، أدركوا جميعاً أن عليهم الاستعداد للعودة ..

والخروج من حالة التأمل العميق ..

ومنح الجسد بعض حقوقه ..

أقل الغليل منها ..

النوم ..

والطعام ..

وقضاء الحاجة ..

وهذا ما اعتادوا فعله ، في أضيق حدود يمكن تصورها ..

أضيق مما يمكنك حتى أن تتخيل ..

ولو أن عالماً طبيعياً قام بدراسة كميات الطعام الضئيلة جداً ، التي يتناولها الواحد منهم شهرياً ، لوجد أنها لا تكفى لإطعام طفل صغير ، في يوم واحد ، حتى إن بعض العلماء يتساءلون عن الطاقة ، التي تمد أوثق البشر بالقدرة على الحياة والاستمرار^(*) ..

ولكن المدهش أنهم يكتفون بهذه الكميات الضئيلة ..

يكتفون بها تملأ ..

عقولهم سيطرت على أجسادهم ، وجعلتها فكرة على خفض معدلات الأيض ، أو التمثيل الغذائي ، إلى أنني حد ممكن ..

وكذلك معدلات النبض ..

والتنفس ..

وكذلك إدرار العرق والبول ..

عقولهم إذن جعلت أجسادهم تكتسب قوة خاصة ..

خاصة جداً ..

قوة نجاح العلم في فهمها ..

وتفسيرها ..

(*) حقيقة .

ووضع قواعد وقوانين لها ..

ولكنه لم ينجح قط في استيعابها ..

أو تطبيقها ..

أو حتى تطويرها ..

هذا لأن مثل هذه القدرة لا يحتاج إلى المعرفة فحسب ..

بل يحتاج إلى الإرادة ..

والتدريب المستمر ..

إرادة من فولاذ ..

وتدريب دائم متواصل .. لا ينقطع أبدًا ..

أبدًا ..

وصبر بلا حدود ..

على الإطلاق ..

وهذا ما يتميزون به جميعًا ..

وما اكتسبوه مع مرور الزمن ..

وما ملكوه من قوة ..

وعلى الرغم من عيونهم المغلقة ، وأجسادهم الساكنة ، في
لقلهم السنوي هذا ، كانوا يدركون جميعًا أن الشمس تغيب ..

وتغيب ..

وتغيب ..

وفجأة ، وبلا مقدمات ، أظلمت الدنيا كلها ..

أظلمت ظلامًا دامسًا رهيبًا ، انتفضت له أجسادهم في قوة ،
وسرت معه ، عبر أجسادهم المتجاورة ، موجة من صقيع
رهيب ، بدا وكأنه قد تجاوز الجلود ، وانغرز في العظام
مباشرة ..

ولأوّل مرة ، ربما في حياتهم كلها ، شعر رهبان المعابد
البوذية التبتية بالبرد الشديد ..

وبالخوف ..

الخوف المبهم الغامض ..

والرهيب ..

ولم يفتح أحدهم عينيه ، أو يغير جلسته الصامتة الساكنة ،
ولكن عقولهم اتجهت جميعها نحو هدف واحد ..

نحو البحث عن تفسير ..

وتوضح ..

وتقييم لما حدث ..

ولكن الظلام في عقولهم راح يشتد ..

ويتكاثف ..

ويتكاثف ..

ويتكاثف ..

ثم ظهر فجأة ذلك العملاق ..

علاق رهيب ، بلا ملامح ، يفوق حجمه ضعف حجم

أضخمهم على الأكل ، وراح يقترب منهم ..

ويقترب ..

ويقترب ..

وعلى الرغم من أن قلوب رهبان التبت ، تختلف كثيراً

عن القلوب العادية ، في عدد انقباضاتها ، التي لا تزيد على

أصابع اليد الواحدة كل دقيقة^{١٨} ، إلا أنها راحت تخفق ،

وراحت تتسارع ..

وتتسارع ..

وتتسارع ..

(*) حقيقة .

في كل خطوة ، يقترب بها العملاق منهم ، عبر جبال

الجنيد الهائلة ، كتحت قلوبهم تخفق ..

وتخفق ..

وتخفق ..

ولكن العجيب أنه ، وعلى الرغم من كل هذا ، لم يتحرك

أحدهم قيد عمله ..

أو يفتح عينيه لحظة واحدة ..

ليس لأنهم لم يكونوا قديرين على هذا ، ولكن لأنهم يدركون أن

قوتهم ، في مثل هذه الظروف ، تكمن في اتحادهم ..

وتآزرهم ..

وتماسكهم ..

وفي عقولهم المشتركة ، التي تتضاعف قوة كل منها ،

في وجود الآخرين ..

ولكن الأسئلة ذاتها دارت في كل العقول ، في آن واحد ..

من هذا ؟؟

من أين جاء ؟؟

ولماذا ؟؟

كثرت يدركون جميعًا ، أن ما يروونه في عقولهم ليس
صورة حقيقية ..

وأنه لا يوجد عملاق حقيقي يقترب منهم ..

أو حتى ظلام يحيط بهم ..

ولكنها قوة ما ..

قوة اخترقت عقولهم ..

واحتوتها ..

وسيطرت عليها ، على نحو ما ..

قوة تلوق أية قوة أخرى عرفوها ..

على الإطلاق ..

ولقد واصل ذلك العملاق ، منعدم الملامح ، الاقترب

منهم ، عبر اتصالاتهم العقلية ..

ثم توقف بفتة ..

توقف عندما رسمت عقولهم صورة قريبة للغاية منهم ..

صورة أظهرت ضخامته ..

وقوته ..

ورهبته ..

وأطلق العملاق ضحكة قوية ..

ضحكة لم تسمعها آذانهم ، ولكن رذنتها عقولهم ..

ضحكة شامتة ..

ظافرة ..

شيطانية ..

ووحشية ..

ضحكة أعادت إليهم ذلك الشعور ، الذي لم يختبروه في

حياتهم من قبل قط ..

الخوف ..

الخوف الشديد ..

« تتساءلون طبعًا من أنا ؟ »

تردد السؤال في عقولهم جميعًا ، في آن واحد ، وبدا

صارمًا ، ساخرًا ، ظافرًا ، على نحو رهيب مخيف ..

ولم يجب أيهم بالطبع ..

ثم تجب أسننتهم ..

ولم تجب عقولهم ..

فثوابه أنه لم يكن هناك جواب ..

أى جواب ..

السؤال نفسه ، كان فى حقيقته بلا معنى ..

بلا منطق ..

وبلا جواب واضح ..

من هو ؟؟

لا أحد منهم يعرف !

أو يمكن أن يعرف !

فبالنسبة لرهبان مثلهم ، لا توجد لية حياة إجتماعية خارجية ..

لا أقارب ..

أو معارف ..

أو أصدقاء ..

أو حتى زوار ..

لا يوجد سوى رهبان ..

فقط الزملاء من الرهبان ..

وعبر عشرات السنين ، لم يفتد إلى المكان سوى غريب واحد ..

غريب واحد لا غير ..

« يبدو أنكم على وشك التذكُّر .. » ..

تردَّدت هذه العبارة أيضاً فى رهوسهم ، بنفس الأسلوب الشامت الظافر الساخر ..

الأسلوب الوحشى ..

والشيطاتى ..

وفى هذه المرة ، تفجَّر الخوف فى أعق أعماقهم أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

فهذا مستحيل !

مستحيل تماماً ..

الغريب الوحيد ، الذى جاء إليهم يوماً ما ، وعاش بينهم لعقدين من الزمان ، أخفى خلالهما أهدافه وتوابعه ، وخذع عقولهم جميعاً ، ليحصل على كل خبراتهم وطاقاتهم ، لم يعد له وجود ، فى هذه الحياة ..

صحيح أنه كان يفوق كلاً منهم قوة ..

ولكن اتحادهم كان أقوى منه ..

وأضعف ..

وأكثر تأثيراً ..

لذا فقد انهزم ..

واتحدر ..

وقتهى تعاملًا ..

هم يدركون هذا ..

عقولهم أدركته ..

وتيقنت منه ..

تمامًا ..

والموتى لا يعودون إلى الحياة ..

ربما تؤمن عقيدتهم بإمكانية الاتصال بأرواحهم ، في الحياة الأخرى ، ولكنها لا تؤمن بعودتهم قط (*) ..

لذا فلم يكن لدى رهبان (التبت) جواب ..

أى جواب ..

(*) حقيقة .

« لا تصدقوا كل ما قلته الأجداد .. »

عبارة أخرى ، تردت في عقولهم جميعًا ، بنفس اللهجة الظافرة ..

للشامنة ..

الساخرة ..

الوحشية ..

الشيطنية ..

مرة أخرى استقبلت عقولهم عبارة بثت في نفوسهم الخوف ، قبل أن تتواصل في شراسة ..

« لا تصدقوا أن الموتى لا يعودون .. » ..

وهنا تحول الخوف إلى رعب ..

رهبان (التبت) ، الذين اعتكفت عقولهم وأجسادهم الهدوء والسكينة ، تفجرت في أعماق أعماقهم موجة من أسوأ المشاعر البشرية ..

موجة من الخوف ..

والرعب ..

والضعف أيضًا ..

نعم .. الضعف ، فى مواجهة امر ، أيقنوا يوماً
بإستحالتة ..

ثم إن الأمر لم يقتصر على ما يتردد فى أعماق العقول
هذه المرة ..

لقد كانت هناك صورة أيضاً ..

فوجه العلق ، الذى ظل حتى تلك اللحظة خالياً ، خاوياً
من أية ملامح ، راح فجأة يتكوّن ..

ويتشكّل ..

ويتحوّر ..

الجمجمة مالت إلى الجانبين ، وانخفضت على نحو أشبه
بالشق من منتصفها ، فى نفس الوقت الذى تكوّنت فيه تجاعيد
شديدة ، فى منتصف الجبهة تماماً ، وراحت تتغير فى سرعة ..

ثم ظهرت تلك العين الرهيبة ، فى منتصف الجبهة ..

العين الثالثة ..

وهنا أصبحت الملامح واضحة ..

واضحة تماماً ..

ومع ضحكة شيطانية مجلجلة ، تبعثت عبارة جديدة ، فى
أعماق أعماق أدمغتهم ..

« نعم .. إنه أنا .. »

قالتها ذلك العلق الرهيب ، وسط الصورة المظلمة
المخيفة ، ثم انقض فجأة ..

انقضّ على كبيرهم ، وأحاط عنقه بيديه ، وضحكاته
الرهيبة تتردّد فى أعماق عقولهم ..

وتتردّد ..

وتتردّد ..

ولأوّل مرة ، ربما فى حياتهم كلها ، اضطرب اتصالهم
العقلنى القوى ..

اضطرب فى عتف ..

وفى عقولهم ، ارتسمت صورة رهيبة ..

صورة مخيفة ومفزعة ..

إلى أقصى حد ممكن ..

صورة للعلاق ، الذى اكتسب ملامح الغريب لرهيب ، وهو يقبض بأصابعه النحيله الطويلة القوية ، على عنق كبيرهم ، ويعتصره ..

ويعتصره ..

ويعتصره ..

وفى للصورة نفسها ، كان كبيرهم يختنق بشدة ..

كان وجهه محتقناً ..

وعيناه جاحظتين ..

ولساقه يتراقص خارج حلقه ..

ولكن العلق الرهيب واصل اعتصار عنقه ، وهو يطلق ضحكته الشيطانية الوحشية ، التى ترددت وسط جبال (التبت) ..

وتردنت ..

وتردنت ..

وهنا .. ودون اتفاق مسبق ، فتح الراهبان عيونهم ..

وتطلّعا إلى كبيرهم ..

عندلذ ثلاثى الظلام ، وعادت جبال (التبت) تكتسب لونها الطبيعى ، ووضوحها التقليدى ، فى مثل تلك الساعة ..

ولم يعد هناك وجود للعلاق ..

ولم تعد ضحكاته تتردد ..

ولكن كبيرهم كان يختنق ..

ويختنق ..

ويختنق ..

وملامحه كلها كانت تؤكد أنه هناك من يعتصر عنقه بالفعل ..

كلها ..

كان محتقن الوجه ، جاحظ العينين ، متكلسى اللسان ، وكفاه يضربان ما حوله فى استماتة ، وكأنه يقاوم عدواً خفياً ..

ثم سمعوا جميعاً قرعة مكتومة ..

ورهيبة ..

وبعدها سقط رأس كبيرهم على صدره ..

ثم انهار جسده كله ..

انهار دفعة واحدة ..

وجثة هامدة ..

وعلى الرغم من هول الموقف ، لم يتحرك أحدهم لدقيقة كاملة ..

فقط ظلوا يحدقون في جثة كبيرهم ، الذي مازال في جلسته القرفصائية ، وإن غابت عنه كل ملامح الحياة ..

بلا استثناء ..

وبعد مرور تلك الدقيقة ، نهض الرهبان جميعهم في بضع ، ثم اتجه لأحدهم نحو جثة كبيرهم ، وأمسك رأسه ، ليرفعه في رفق ، و ...

وتجمدت ملامحهم ومشاعرهم دفعة واحدة ..

تجمدت وهم يحدقون جميعاً في عنق كبيرهم المحطم .. والذي ظهرت عليه في وضوح ، آثار تلك الأصابع ، التي سحقته بلارحمة ، وسلبته الروح بلا لمحة من ضمير ..

الأصابع الطويلة ..

النحيلة ..

القوية ..

الشيطنية ..

وعندئذ ، وربما عندئذ فقط ، بدأ رهبان المعابد البوذية في (التبث) يشعرون بالبرد المحيط بهم ..

يشعرون به بشدة ..

وفي كل جزء من أجسادهم ..

في أطرافهم ..

وقلوبهم ..

وعقولهم أيضاً ..

فالتجربة للرهيبة ، التي عاشوها في تلك اللحظات ، التي لم تتجاوز في الواقع الدقيقة الواحدة ، كانت تفوق إدراكهم ..

وتفوق قوتهم ..

وإمكانياتهم ..

ألف مرة ..

لذا، فقد عادت عقولهم لتلتقى، دون أن يفلقوا أعينهم ..
عادت تلتقى بفكرة واحدة، أنبأتهم بأن ما حدث مجرد
بداية رهيبية ..

بداية لمرحلة خطيرة من حياتهم ..

ومن وجودهم ..

واستمراريتهم ..

خطيرة للغاية ..

وإلى أقصى حد ممكن ..

أو غير ممكن ..



٥ - دواعى أمن ..

كعالم جليل، وخبير مختك فى الطب للشرعى، له نظريته
ومدرسته، وشهرته التى جابت الأفالق، كان من الطبيعى
أن ينهر الدكتور (محمد حجازى)، كبير الأطباء للشرعيين
بلحظة التى أمامه، والتى لم تسجلها أية مراجع طبية أو علمية
من قبل، والتى راح ذلك المسخ يستعيد فيها نشاطه وحيويته،
وسيطرة مخه على جسده، بعد أن أشارت تقارير الفحص
الأوتئية كلها إلى توقف معدلاته الحيوية، وأعضاء جسده
الخارجية والداخلية عن العمل ..

ويكل شغفه واهتمامه، وفضوله العنى للبالغ، راح الدكتور
(حجازى) يسجل ما يحدث أمامه، لحظة فلتحة، ويصف
عملية انتقال العلامات الحيوية، عبر الجسد المسجى
أمامه، بمنتهى الدقة العلمية، و ...

وفجأة، اقتحم ذلك الرجل حجرة الفحص ..

رجل يرتدى زياً عسكرياً رسمياً، اقتحم المكان دون استئذان
ودون أن يطرق حتى باب، وقال بمنتهى الصرامة والغطرسة،
وهو يعقد كفيه خلف ظهره، ويشد قامته فى اعتداد :

- دكتور (محمد حجازى) .. أليس كذلك !؟

استدار إليه الدكتور (محمد حجازي) ، بكل استنكار الدنيا ، وهو يقول في غضب :

- كيف دخلت إلى المكان هكذا !!

كانت حجرة الفحص ، بالنسبة إليه ، أشبه بالمحراب ، لا ينبغي أن يتجاوز عتبة إلاك من له صلة مباشرة بها فحسب ..

وبالنسبة إليه أيضاً ، كان وجود رجل عسكري ، أيًا كانت رتبته ، داخل حجرة الفحص ، أمرًا مرفوضًا ..

مرفوضًا تمامًا ..

لذا ، فقد بدا غاضبًا صارمًا ..

وبشدة ..

ولكن ذلك للعسكري لم يبال أبدًا بالأمر ، بل ظل قاسيًا ، متعطرًا ، وهو يقول :

- لم تجب سؤالي بعد .

صاح به الدكتور (حجازي) :

- وانت أيضًا .

مطّ العسكري شفتيه ، وهو يقول في صرامة :

- لا بأس لو لم ترغب في الإجابة ، فهذا لن يصنع فرقًا .

قلها ، ثم أشار بسبابته في تعال ، فاندفعت مجموعة من الجنود إلى حجرة الفحص ، والتفت حول المنضدة ، التي يرفد عليها جسد المسخ ، ثم ارتفعت فوهات مدافعهم الليزرية في تحفز ، جعل الدكتور (حجازي) ، بهتف ، في غضب أكثر :

- ما الذي يحدث هنا بالضبط !!

أجابه العسكري ، في صرامة قاسية :

- الأمور هنا لم تعد تحت سيطرتك يا رجل .

كان المكان يزدهم بالجنود ، وبالمدافع الليزرية ، على نحو أجهر الدكتور (حجازي) على التراجع إلى الجدار ، وهو يقول في عصبية :

- ما هذا بالضبط !! انقلاب !!

قال العسكري في صرامة :

- ربما يبلغ ما هو أسوأ ، لو تركنا الأمر في قبضة

المدنيين أمثالك !!

رند الدكتور (حجازى) ، فى غضب مستنكر :

- المدنيون أمثالى !!

تجاهله العسكري تمامًا هذه المرة ، وهو يشير إلى جنوده ، الذين بدعوا يتعاونون ، لرفع جثة المستخ ، فاندفع الدكتور (حجازى) نحوهم ، هاتفاً :

- هذا الجسد لن يخرج من هنا .

لم يكذ ينطقها ، حتى استدار إليه أحد الجنود فى شراسة ، وأصق فوهة منفعه الآلى بعقه ، وهو يطلق زمجرة تحنيرية متحفزة ، دافعا إياه أمامه فى قسوة ، حتى ضرب ظهره بالجدار ، فابتسم العسكري ، وهو يقول فى ظفر ساخر :

- أخبرتكم منذ البداية أن الأمور قد خرجت ، عن نطاق سيطرتك وسلطاتك .

هتف الدكتور (حجازى) ، عندما شاهدهم يدفعون محفة خاصة إلى الحجرة :

- ليس هذا من حقم .. لا بد من الحصول على موافقة النيابة .

قال العسكري فى صرامة :

- هذا يفوق سلطات النيابة أيضا .

صاح الدكتور (حجازى) فى غضب :

- لا أحد فوق القانون .

شد العسكري قامته ، وهو يقول فى قوة وصرامة :

- أمن الدولة فوق كل اعتبار .

ضمغم الدكتور (حجازى) ، بمنتهى الدهشة :

- أمن الدولة !! وما شأن أمن الدولة ، بعناية فحص قنوتية !!

أشار العسكري إلى المسخ ، الذى نقله جنوده إلى المحفة الجديدة بالفعل ، وهو يقول فى ازدياد :

- هذا الـ ... الشيء ، عرض حياة الكثيرين وأمنهم ، إلى خطر رهيب مجهول ، مما يجعله خطراً على أمن الدولة .

قال الدكتور (حجازى) فى عصبية :

- أنه مجرد شخص مصاب عاجز .

ابتسم العسكري فى سخرية ، قائلاً :

- أتؤمن بهذا حقاً !!

قال الدكتور (حجازى) فى حدة :

- هذا رأى كخبير .

مطّ العسكري شفتيه ، وقال :

- سنضع هذا في الاعتبار بالتأكيد .

ثم أشار إلى الجنود ، فحملوا جسد المسخ إلى الخارج ،
والدكتور (حجازى) يقول ، بمنتهى العصبية والغضب :

- لكرّر أن هذا ليس من حنكم .. سأنتقم باحتجاج رسمى ،
إلى السلطات المسئولة ، و ...

قاطعته العسكري بمنتهى الصرامة :

- إنك لن تفعل شيئاً .

قالها ، وهو يمد يده ، ليلتقط جهاز التسجيل ، الذى
يحوى كل التفاصيل ، ثم بدسه فى جيبيه ، فتفتض جسد
الدكتور (حجازى) ، وهو يصرخ :

- لا .. ليس هذا .

زمر الجندى مرة أخرى ، ودفع فوهة المدفع فى عنقه
أكثر ، فصرخ غاضباً :

- ما هذا بالضبط !! احتلال جديد !!

أجابته العسكري بمنتهى الصرامة :

- دواعى الأمن تبيح أى شىء فى الوجود يارجل .

صاح الدكتور (حجازى) :

- لاشىء فى الدنيا يبيح الاعتداء على حريات الآخرين ،
أو تجاوز القوانين والنظم .. لاشىء على الإطلاق .

ابتسم الضابط فى سخرية ، وهو يقول :

- هذا ما يتصوره المدنيون أمثالك .

اتفق أحد الجنود فى تلك اللحظة ، وهو يحمل مجموعة من
الأسطوانات المنمجة لصغيرة ، وأدى التحية العسكرية لضابطه ،
ثم انحى يمهس فى أنه بيبضع كلمات ، فلوما برأسه متلهماً
وهو يقول ..

- عظيم .. عظيم ..

والتقط الأسطوانات المدمجة ، وسنها فى جيبيه ، وقال
وهو يرمى الدكتور (حجازى) بنظرة ساخرة :

- هذه كل الأسطوانات ، التى سَجلت ما دار فى الحجره ،
منذ وصول ذلك للـ .. الشىء .. هكذا لا يعود هناك دليل
واحد ، على ما حدث هنا .

صاح الدكتور (حجازى) :

- ولماذا تسعون لإخفاء ما حدث هنا ؟

أجابته الضابط ، بمنتهى الصرامة :

- ليس هذا من شأنك أيها المدنى .

لم يكذب ينطقها ، حتى تراجع الضابط الأول بحركة حادة ،
وانتخذ وقعة عسكرية صارمة متوترة ، في حين بدأ الارتباك
على الجندي ، الذي يلصق فوهة مدفعه بعنق الدكتور
(حجازي) ، وراح ينقل بصره بين الضابطين في قلق ، في
حين أطل الغضب من عيني الضابط الأكبر رتبة ، وهو يقول
في صرامة غاضبة :

- وكيف يحدث هذا ؟؟

قال الضابط الأول في توتر :

- سيدي .. كنا ننفذ الأوامر الخاصة بـ ...

قاطع الضابط الأكبر في غضب :

- بهذا الأسلوب ؟؟

ثم استدار إلى الجندي ، وصاح فيه بغضب هائل :

- اخفض سلاحك .

أطاعه الجندي على الفور ، وأدى له تحية عسكرية قوية ،
فاستدار إلى الضابط الأول ، وتابع بمنتهى الصرامة :

- أنت محال إلى محاكمة عسكرية .

صاح الدكتور (حجازي) بغضب :

- بل هو من شائني ، ومن شأن أي شخص عاقل ، بأبي
أن تعود الأساليب الديكتاتورية إلى مجتمعه ، بعد أن تطهر
منها ، وتجاوز ويلاتها الرهيبة .

تعتقد حاجبا الضابط ، في ثورة شديدة ، وهو يهتف :

- كيف تجرؤ ..

قاطع الدكتور (حجازي) ، في ثورة أكبر :

- بل أجرو ، وسأقولها ألف مرة ، حتى لو أمرت هذا الجندي
الحقير بنسف رأسي ألف مرة .. سأقولها من أجل الحرية ..
من أجل العزة .. من أجل الكرامة .

احتقن وجه الضابط ، في غضب هائل ، وصاح في الجندي :

- استعد .

كان الدكتور (حجازي) يدرك ما الذي يعنيه هذا ، وعلى
الرغم من هذا ، فقد صاح بكل غضب الدنيا :

- هيا .. دعه يطلق النار .. دعه يشبع تلك قنزعة السادية
الدموية في أعماقك ، و ...

قبل أن يكمل صياحه ، تلف ضابط أكبر رتبة إلى المكان
فجأة ، وهو يقول في صرامة :

- ما الذي يحدث هنا بالضبط ؟؟

قال الضابط في توتر :

- كنت أُنَفِّذ الأوامر فحسب .

أجابه الضابط الأكبر ، في غضب صارم :

- المحاكمة العسكرية ستجعله تعرف الفارق ، بين تنفيذ الأوامر ، وتجاوز الحدود ، واستقلال السلطة والنفوذ .

بدا توتر بالغ على وجه الضابط ، وهو يقول :

- كما تأمر يا سيدي .

نقل الضابط الأكبر بصره في صرامة ، بين وجهي الضابط والجندي ، قبل أن يلتفت إلى الدكتور (حجازي) ، ويقول بلهجة عسكرية أمرة :

- لتركونا وحدنا .

أطاع الاثنان أمره على الفور ، وغادرا الحجرة معاً ، ليتركاه داخلها وحده ، مع الدكتور (حجازي) ، الذي ظل صامتاً غاضباً ، حتى قال الضابط الكبير ، بأسلوب هادئ مهذب :

- كيف أقدم لك الاعتذار ، على كل ما حدث هنا ؟!

غمغم الدكتور (حجازي) ، بنفس العصبية والتوتر :

- يكفيني ما فعلته .

ثم لَوَّح بسبابته ، مستطرداً في حدة :

- ولأن تعيدوا جسد ذلك المسخ إلى هنا .

ابتسم الضابط ، وهو يقول :

- دعنا نتجاوز كل ما هو مستحيل يا دكتور (حجازي) .

اتسعت عينا الدكتور (حجازي) وهتف في غضب مستنكر :

- ما هو مستحيل ؟! إنا نتحدث عن ..

قاطعه الضابط في هدوء :

- منطقتي لا تبلغ هذا الحد .

حدق الدكتور (حجازي) في وجهه ، فتابع في حزم :

- إنها أوامر عليا .. أوامر سيادية عليا .

اتسعت عينا الدكتور (حجازي) مرة أخرى ، مع هذا الجواب المباشر ، وحدق في وجه الضابط أكثر وأكثر ، وهو يغمغم مبهوتاً :

- أوامر سيادية عليا ؟! ولكن لماذا ؟!

هزّ الضابط كتفيه ، مجيباً :

- لست أدرى .. أنا مثلك تماماً .. أُنَفِّذ الأوامر فحسب ،

ولا شأن لي بالأسباب .

ثم مال نحوه ، وقال وكأنه يذيع سرّاً رهيباً :

- كل ما أعلمه ، هو أن وجود هذا الشيء هنا ، يهدد الأمن القومي كله .

هتف الدكتور (حجازي) :

- إلى هذا الحد ١٢

أوما الضابط برأسه إيجاباً ، قبل أن يضيف ، في لهجة توحى بخطورة الأمر كله :

- وربما الأمن العالمي أيضاً .

خفق قلب الدكتور (حجازي) في عنف ، وحملت عيناه نظرة هلع كبيرة ، وهو يحاول أن يستوعب الموقف كله ، إلا أن الضابط لم يمنحه الفرصة لهذا ، وهو يضع يده على كتفه ، ويقوده خارج حجرة الفحص في رفق ، وهو يقول في هدوء ، ثم يخل من الحزم :

- ووفقاً للأوامر العليا أيضاً ، يفترض أن أحصل منك على وعد .

رند الدكتور (حجازي) في توتر حائر :

- وعد .. أي وعد .

ابتسم الضابط ، قائلاً :

- إنه قسم في الواقع .

ثم توقف خارج الحجرة ، والتفت إليه ، واستعاد حزمه العسكري الصارم وهو يقول :

- أريد منك أن تقسم على أن يظل كل ما حدث هنا الليلة ، منذ وصول ذلك الشيء ، وحتى هذه اللحظة ، سرّاً لا يعلم به مخلوق واحد ، مهما كانت الظروف .

تردد الدكتور (حجازي) ، وهو يقول :

- ولكن المفترض أن ..

قاطعه الضابط ، في صرامة أكثر :

- أقسم يا دكتور (حجازي) .. أقسم من أجل الوطن .. من أجل أمنه ، وسلامته ، وبقائه .

« وهل أقسمت ١٢ »

لُقي (نور) السؤال في هدوء ، حمل على الرغم منه لمحة مستنكرة ، التقطها الدكتور (حجازي) بذلك المعهود ، فخفض عينيه ، مغمضاً في مرارة :

- لم يكن أمامي خيار آخر .

كان من الواضح أن الرجل ، بخبراته الواسعة ، وتاريخه للعريق ، يشعر بمرارة لاحصر لها ، في تلك اللحظات العصيبة ، لذا فقد حاول (نور) أن يتجاوز الموقف كله ، وهو يسأله :

- وماذا فعلوا بذلك الممسخ !!

أجابته الدكتور (حجازى) فى أسى :

- لقد تطلقوا به ، فى سيارة تجميد ، إلى مكان مجهول .. ربما أحد معامل الأبحاث العسكرية ، أو ...

قاطعه (نور) فى توتر :

- سيارة تجميد !!

أوماً الدكتور (حجازى) برأسه مؤكداً ، وهو يقول :

- نعم .. سيارة تجميد ، من تلك التى تستخدم فى نقل أى عينات بيولوجية سريعة التلف .

قال (نور) فى دهشة :

- إذن فقد كانوا يحاولون الحفاظ عليه حياً .

أوماً الدكتور (حجازى) برأسه ، متمتماً :

- هذا ما يبدو .

تضاعفت دهشة (نور) ، وهو يهتف :

- ولكن لماذا !!

ترنّد الدكتور (حجازى) لحظة ، قبل أن يشير بيده ، قائلاً :

- الواقع أننى قد أقيت على نفسى هذا السؤال عدة مرات يا (نور) ، طوال الأسابيع القليلة الماضية ، ولم أجد سوى تفسير واحد .

التقى حاجبا (نور) ، وهو يقول فى حزم متوتر :

- أن يحاولوا تطويع قدراته .

هتف الدكتور (حجازى) ، فى حماسة مفاجئة :

- بالضبط .

بدت رنة الغضب واضحة ، فى صوت (نور) ، وهو يشد قامته ، قائلاً :

- لو أن هذا كل ما فكر فيه أولئك العسكريون ، فقد ارتكبوا أكبر حماقة ، فى حياتهم كلها .

غمغم الدكتور (حجازى) :

- لو أنك فى موضعهم ، لما أمكنك أن تقاوم الفكرة .. فكرة صنع سلاح عسكرى جبار ، من شيء كهذا .

قال (نور) في حدة :

- شيء محطّم .

وصمت لحظة ، ثم أضاف في غضب :

- ولكنه قلار على إعادة بناء نفسه .

هز الدكتور (حجازي) رأسه نغيًا ، وهو يقول :

- كلاً يا (نور) .. لست أظن أن باستطاعته أن يستعيد قدرته

السابقة ، مهما أعاد بناء نفسه ، أو تمكن من السيطرة على

جسده .

لؤح (نور) بذراعه كلها ، وهو يقول في حدة :

- ولكنه هنا .

قال الدكتور (حجازي) ، في سرعة وتوتر :

- ليس بالضرورة .

سأله (نور) في سرعة :

- من سواه إذن ؟

تردد الدكتور (حجازي) طويلاً ، قبل أن يتمم :

- ربما خصم آخر .

قال (نور) في صرامة :

- خصم آخر ، له نفس قدرات الأول ؟! بل له قدرات

تفوق قدرات الخصم الرهيب الأسبسي ذاته ؟! لا .. لست

أظن هذا منطقيًا ، فحتى لو افترضنا وجود ذلك الخصم

الآخر الوهمي ، فلماذا الانتقام ؟! لماذا السعي لإعلان

وجوده ، عند كل من واجهوه من قبل ؟!

قال الدكتور (حجازي) ، وقد بدا من الواضح أن

أعصابه لم تعد تحتل :

- ليس كلهم .

هتف (نور) في حدة :

- فليكن .. بعضهم على الأقل .. هل يرضيك هذا ؟!

بدا الضيق على وجه الدكتور (حجازي) ، وهو يتمم :

- كل ما يحدث هنا لا يرضيني يا ولدي .

شعر (نور) بالخجل ، وهو يتمم في توتر :

- لم أقصد هذا يا دكتور (حجازي) .

غمغم الدكتور (حجازي) :

- أعلم .

قال (نور) في حدة :

- شيء محطم .

وصمت لحظة ، ثم أضاف في غضب :

- ولكنه قادر على إعادة بناء نفسه .

هز الدكتور (حجازي) رأسه نفياً ، وهو يقول :

- كلاً يا (نور) .. لست أظن أن باستطاعته أن يستعيد قدراته

السابقة ، مهما أعاد بناء نفسه ، أو تمكن من السيطرة على

جسده .

لوح (نور) بذراعه كلها ، وهو يقول في حدة :

- ولكنه هنا .

قال الدكتور (حجازي) ، في سرعة وتوتر :

- ليس بالضرورة .

سأله (نور) في سرعة :

- من سواه إذن ؟

تردد الدكتور (حجازي) طويلاً ، قبل أن يتمم :

- ربما خصم آخر .

قال (نور) في صرامة :

- خصم آخر ، له نفس قدرات الأول ؟! بل له قدرات

تفوق قدرات الخصم الرهيب الأسس ذاته ١٤ لا .. لست

أظن هذا منطقياً ، فحتى لو افترضنا وجود ذلك الخصم

الآخر الوهمي ، فلماذا الانتقام ؟! لماذا للسعي لإعلان

وجوده ، عند كل من واجهوه من قبل ١٤ ؟

قال الدكتور (حجازي) ، وقد بدا من الواضح أن

أصابه لم تعد تحتمل :

- ليس كلهم .

هتف (نور) في حدة :

- فليكن .. بعضهم على الأقل .. هل يرضيك هذا ١٤ ؟

بدا الضيق على وجه الدكتور (حجازي) ، وهو يتمم :

- كل ما يحدث هنا لا يرضيني يا ولدي .

شعر (نور) بالخجل ، وهو يتمم في توتر :

- ثم أقصد هذا يا دكتور (حجازي) .

ضعف للدكتور (حجازي) :

- أعلم .

ثم التقط نفساً عميقاً ، قبل أن يمكنه أن يتابع :

- أنتم تواجهون خطراً غامضاً ، يهدد حياتكم في كل لحظة ، ولا تجدون له أى تفسير علمى أو منطقى ، ومن الطبيعى أن تثار أعصابكم وتوتر ، و ...

- « ما الذى قصده الضابط ، بأوامر سيادية عليا ؟! »

ألقى (نور) السؤال فجأة ، وهو يفكر فى عمق وتركيز ، حتى بدا وكأنه لم يشعر حتى بمقاطعته للدكتور (حجازى) ، الذى بدت عليه دهشة بالغة ، وهو يجيب فى توتر :

- وهل يحتاج هذا إلى تفسير يا (نور) ؟!

أشار (نور) بمشايته ، قائلاً :

- بالتأكيد يا الدكتور (حجازى) ، فالمصطلح يمكن أن يستخدم للإشارة إلى وزارة الدفاع ، أو إلى مؤسسة الرياسة ، فليهما المقصود به فعلياً .

قال الدكتور (حجازى) ، وقد تضاعف توتره :

- الذين جاؤوا ، كانوا من العسكريين .

هز (نور) رأسه ، قائلاً :

- هذا يمكن أن ينطبق على الحالتين .

هتف للدكتور (حجازى) ، وقد بلغ توتره مبلغه ، إلى حد عجز عن احتمالته :

- وما الفارق ؟!

تعتقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

- فارق ضخم للغاية .

ثم لتتقط جهاز الاتصال للمحود ، لخاص به ، وهو يضيف :

- ولا بد من حسمه قوياً .

سأله الدكتور (حجازى) ، فى حذر بالغ التوتر :

- وكيف هذا ؟!

لم يجب (نور) تساؤله مباشرة ، وإنما قال فى رصانة حازمة ، عبر جهاز الاتصال :

- سيدى القائد الأعلى .. لدينا هنا مشكلة ، تحتاج إلى تدخل سيادتكم مباشرة .

لترك الدكتور (حجازى) على الفور ، أنه يتحدث إلى القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ، فتراجع مبهوراً ، وهو يتعمق فى خفوت :

- آه .. فهمت ..

أما القائد الأعلى ، فقد سأل (نور) في اهتمام :

- أية مشكلة أيها المقدم !!

أجابته (نور) ، بنفس اللهجة الرصينة الحازمة :

- مسألة حياة أو موت ياسيدى .. (إننا ..

فجأة ، وبلا مقدمات ، بتر (نور) عبارته ..

والتعقد حاجباه في شدة ..

ففي لحظة واحدة ، ويقفزة مدهشة ، تلتصق كل شيء من حوله بفتة ، وتبدل على نحو عجيب ..

وقجأة ، لم يعد هناك ، في حجرة مكتب الدكتور (حجازى) ..

بل صار في مكان آخر ..

مكان يختلف ..

يختلف تماماً ..

وكان هذا يعنى أنه لم يعد يسيطر على عقله وحواسه ..

بل هناك ما أستحوذ عليهما معاً ..

أو من استحوذ عليهما معاً ..

وبمتهى القوة ..

٦ - التجربة ..

التقى حاجبا العميد (ماهر) ، مدير مركز الأبحاث العسكرية ، وهو يتابع تلك التجربة الفريدة ، التي يجريها فريق من خبراء إدارته ، قبل أن يتمم :
- مدهش .

كان يشعر ، في أعماق أعماقه ، أن ما يحدث أمامه هو طفرة حقيقية ، في مسار العلم كله ..

طفرة لم تسجلها أية مراجع طبية من قبل ..

أو أية مراجع علمية ..

وكانت كل ذرة في كيانه تشعر بالزهو ..

والفخر ..

والظفر ..

لأنك الفريق ، الذى ضم مجموعة من أفضل خبراء المؤسسة العسكرية ، في الطب ، والإلكترونيات ، والتكنولوجيا الرقمية ، والاتصالات ، فقد بدأ أفرادهم مبهورين ، ربما توصلوا إليه من نتج ، تتجاوز أفضل وتقوى أحلامهم ، عند بداية التجربة ..

وبصوت يحمل انفعالاً واضحاً ، قال أحدهم ، من دخل
الحجرة الزجاجية ، التي تحوى التجربة :
- الاستجابة مذهشة .

وأضاف آخر مبهوراً :

- كل شيء يصل بكفاءة تامة ، كما لو أنه .. كما لو أنه ..

عجز عن التعبير عما يقصده ، فقال العميد (ماهر) فى
حزم ، من موقعه الخارجى ، الممثل على التجربة :

- مكتمل .. كما لو أنه مكتمل .

هتف الرجل فى حماسة :

- بالضبط .

اتفخت أوداج العميد (ماهر) بزهو ظاهر أكثر ، وتراجع
فى مقعده ، الذى بدا وكأنه لم يعد يكفيه ، وهو يسأل :

- ومتى يكتمل الأمر فعلياً ؟!

أجابته رجل آخر من الفريق :

- إننا نوشك على السيطرة التامة .

وأضاف آخر فى حماسة :

- أسبوع واحد على الأكثر ، وسيصبح أشبه بعجينة طرحة
بين أيدينا ، يمكننا تشكيلها وفقاً نشاء .

هز العميد (ماهر) رأسه ، قائلًا فى صرامة :

- ليس لدينا كل هذا الوقت .

ثم مال إلى الأمام ، مستطردًا فى خشونة قاسية :

- لدينا ثلاثة أيام فحسب ، لتقديم نتائج مكتملة للقيادة .

تبادل أفراد الفريق نظرة شديدة التوتر ، قبل أن يقول
كبيرهم فى ارتباك شديد :

- مستحيل يا سيدي .. إننا ..

قاطعته العميد (ماهر) ، بكل صرامة الدنيا :

- ثلاثة أيام فقط .

علوا يتخللون تلك النظرة ، ثم تردّد أحدهم لحظة ، وقال :

- مازالت أماننا صعوبات كبيرة ، لا بد من تجاوزها
لأولاً ، قبل أن نعلن نجاحنا .

ترجع العميد (ماهر) فى مقعده ، وهو يسأله فى صرامة :

- مثل ماذا ؟!

تعكس حلجبا العميد (ماهر) بمنتهى الشدة، عند هذه النقطة بالذات، ورفع أصابع كفيه، ليشبهكما أمام وجهه في شدة، وهو يدرس الموقف كله مرة أخرى، قبل أن يعتدل بحركة حادة، قائلاً:

- خمسة أيام.

قال رئيس الفريق في سرعة:

- بل سبعة.

هبط العميد (ماهر) من مقعده، وبدأ غاضباً صارماً قاسياً، وهو يقول منتفضاً:

- خمسة أيام، وهذه أقصى مهلة يمكنني منحها.

تبادل أفراد الفريق تلك النظرة المتوترة مرة أخرى، ثم غمغم كبيرهم في استسلام يائس:

- فليكن.

تألفت عينا العميد (ماهر) وكأنه فاز في موقعة حربية طاحنة، وهو يقول:

- عظيم.

أجابه آخر:

- مثل هذه الذبائح شديدة القوة، فאלقة القصر، التي تنطلق منه، كل حين وآخر، وتسجلها الأجهزة الرقمية والإلكترونية، في عنف يتجاوز مؤشراتنا التقليدية، وكل المؤشرات الأخرى أيضاً.

تساءل العميد (ماهر) في اهتمام:

- وما الذي تعنيه هذه الذبائح.

أجابه رئيس الفريق:

- هذا ما نسعى لمعرفة.

لوح العميد (ماهر) بيده، قائلاً في صرامة غاضبية:

- ثلاثة أيام تكفى.

قال رئيس الفريق في سرعة:

- وماذا لو أنها لم تكف؟! هل نقدم التجربة ناقصة عندئذ.

واندفع آخر بضيف:

- وعنى مسئوليتك الخاصة؟!!

ثم عاد إلى مقعده ، وأشار بيده ، مستطرداً بلهجة أمره :
- دعونا نرى كيف يستجيب مرة أخرى .

غمغم أحد أعضاء الفريق :

- بلوح لى أننا قد أرقهناه كثيراً اليوم ، ولا ينبغي أن ..
قاطعه العميد فى صرامة :

- دعونا نرى هذا .

بدأ التوتر على وجوه الجميع ، ولكن رئيس الفريق
غمغم مستسلماً :

- فليكن .. مرة واحدة فقط .

بدأ الجميع يعملون فى نشاط جم ، لدقيقة كاملة ، قبل أن
يعتدل رئيس الفريق ، قائلاً :

- الآن .

تحرك شعاع رفيع من الليزر ، فى مسار محدود ، فراح
جهاز رقمى خاص يرسم منحنيات أنيقة ، على شاشة من
البلازما المسطحة ، وغمغم العميد (ماهر) :

- مدهش .. مدهش ..

تابع أفراد الفريق تلك المنحنيات فى قلق واضح ، وترقب
شديد التوتر ، و ..

وقجأة ، اهتز المنحنى الرئيسى فى عنف ..

ثم انطلق ..

انطلق يرسم منحنيات بالغة الحدة ، والقوة والنشاط ..

منحنيات راحت تتزايد ..

وتتزايد ..

وتتزايد ..

وهفت إحدى عضوات الفريق :

- ها هو ذا يقطعها مرة أخرى .

امتعت وجوههم ، وهم يتابعون المنحنيات ، التى تسارعت ..

وتسارعت ..

وتسارعت ..

ثم بلغت حدها الأقصى ، وبدأت تتحول إلى ما يشبه الخط
المستقيم ، فاعتدل العميد (ماهر) ، وهو يتسائل فى عصبية :

- ما هذا بالضبط ؟!

أجابته قائد الفريق في توتر :

- ما كنا نخشاه .

صاح به العميد (ماهر) :

- وما الذى تخشونه ؟!

زفر عضو آخر بالفريق ، قبل أن يقول فى مرارة :

- ما نحاول كشفه .

وأصاف ثالث :

- وليس لدينا الوقت لهذا .

مع أقوالهم ، تضاعفت قوة الذبذبات ..

وتضاعفت ..

وتضاعفت ..

حتى صارت بالفعل مجرد خط مستقيم ..

خط يعنى الذروة ..

الذروة المطلقة ..

وفى توتر شديد ، ضغمت عضوة الفريق :

- ترى ما الذى يفعله بالضبط ؟!

أجابها رئيس الفريق ، مشيراً إلى الخط المستقيم على الشاشة :

- يتجاوزنا .

وصمت لحظة ، ثم استترك :

- يتجاوز كل الحدود .

ضغمت :

- المهم ما يفعله يتجاوزها .

التفت إليها أحد زملائها ، قائلاً :

- ماذا تتصورين ؟!

امتقع وجهها بشدة ، وكأنها فهمت ما يعنيه ، وتمتمت :

- يا إلهى ! يا إلهى !

صاح بهم العميد (ماهر) فى غضب :

- ما الذى تخشونه بالضبط ؟!

التفت إليه رئيس الفريق ، مجيباً :

- ما يفعله الآن .

صاح به :

- وما الذى يفعله ١٢

قلب أحد أعضاء الفريق كفيه ، مخمفاً :

- ليتنا نعلم .

صرخ العميد (ماهر) فى ثورة :

- أى فريق من الخبراء أنتم ١٢ كيف تجهلون ما يفعله ،

وأنتم الذين أشرقتم على وجوده منذ البداية ١٢

أجابته رئيس الفريق فى حدة :

- نحن نعرف كل ما يحدث ، من التاحية للتفتية ، والطبية ،

والرقمية أيضاً ، وأجهزتنا تسجل كل التطورات والتغيرات

والمغيرات لحظة فلحظة ، ولكننا لانفهم ما الذى يعنيه هذا ١٢

صاح به العميد (ماهر) :

- أى قول سخيف هذا ١٢

أجابته فى غضب :

- أمر علمى طبيعى ياسيدة للعميد ، فحن نستطيع أن نسجل

حالة غضبك الآن ، ونستطيع أن نقول : إنها حالة مبالغة ،

وإنك غاضب ثائر ، وإن معدلات نبضك قد ارتفعت ، وكذلك

معدلات تنفسك ، واتساع مسامك ، وإفرازاتك العرقية ..

نستطيع أن نسجل كل هذا بمنتهى الدقة ، ولكننا لانستطيع

أن نعرف ما الذى يدور فى عقلك ، فى لحظة غضبك

بالضبط ، ولالماذا تغضب من أمور علمية ، على هذا النحو

الزائد .. هذه أمور لا يعرفها سواك .. وحدك فقط ، يمكنك

أن تشرحها لنا ، كما تدور فى أعصائك .. بل وحتى أنت

نفسك ، قد تعجز عن توصيف وتوضيح مشاعرك الداخلية

للشخصية ، فكيف بنا نحن ١٢

خَيَّل إليهم لحظة ، أنه لم يفهم حرفاً واحداً مما قاله

رئيسهم ، فقد ظلَّ غاضب الملامح ، محتقن الوجه ، محمر

العينين ، وبدا لحظة وكأنه سينفجر فى وجوههم جميعاً ،

لأنه لم يلبث أن تراجع فجأة ، وعقد كفيه خلف ظهره ،

فى وقفة عسكرية صارمة ، وهو يسأل :

- وهل هناك وسيلة لمعرفة هذا ١٢ أعنى لو منحتكم

العزير من الوقت ١٢

تبادلوا نظرة صامتة ، قبل أن تجيب عضوة الفريق :

- سنبذل قصارى جهدنا .

مع نهاية عبارتها ، عدلت للمنحنيات فجأة إلى إيقاعها الطبيعي ، فغمغم أحد أفراد الفريق :

- لقد انتهى من مهمته .

تعمّم آخر في توتر :

- ترى ماذا فعل هذه المرة ؟!

نقل العميد (ماهر) بصره بين وجوههم ، قبل أن يقول في صرامة عسكرية قاسية :

- ابدلوا قصارى جهدكم لتعرفوا .

ثم استدار على عقيبه ، وهو يضيف :

- ولكن أمامكم أسبوع واحد .. أسبوع واحد لا غير .

همهم العلماء بكلمات غير مفهومة ، ولكنه تجاهل كل هذا ، والدفع بغلر المكان كله ، وهو يغمغم في غضب :

- يا للعلماء !

أما هم ، فقد تبادلوا نظرة أخرى صامتة ، ثم تعمّم رئيسهم في حلق :

- يا للعسكريين !

لاحظتها ، كان العميد (ماهر) يقطع ممر إدارة الأبحاث العسكرية ، في خطوات واسعة عسكرية صارمة ، وهو يتمم :

- أسبوع كامل .. القيادة ستظل تطلبني بالنتائج لأسبوع إضافي كامل !! يا للسخافة !

كان يتجه إلى مكتبه مباشرة ، عندما هرع إليه سكرتيره الخاص ، قائلاً في اتفعل :

- سيادة العميد .. وصل تقرير إلكتروني عاجل ، من فريق المراقبة رقم ثلاثة .

سأله العميد (ماهر) ، دون أن يتوقف :

- ما الذي يحويه ؟!

سار السكرتير إلى جواره ، وهو يجيب منفعلًا :

- لتعمّم (نور) وفريقه ، بصحبة السيدة (مشيرة) ، رئيسة (أنياب الفيديو) ، ذهبوا جميعًا لزيارة كبير الأطباء الشرعيين ، الدكتور (محمد حجازي) فجأة ، ودون اتفاق مسبق .

توقف العميد (ماهر) نطعة واحدة ، حتى إن سكرتيره كما يفقد توازنه ، فاستند بسرعة إلى الجدار ، والعميد يسأله في توتر :

- جميعهم ؟!

أوما برأسه إيجابياً ، ولهث على نحو غير مفهوم ، وهو
يجيب :

- جميعهم ياسيدى .

اتعدت حاجبا العميد (ماهر) ، وهو يسأله :

- ثم ماذا ١٢

التقط سكرتيره نفساً عميقاً ، وقال :

- ثم غادر الجميع المكان ، وتركوا المقدم (نور) وحده ،
مع كبير الأطباء الشرعيين .

ازداد انعقاد حاجبى العميد (ماهر) ، وهو يغمغم :

- وحده ١٣

أوما السكرتير برأسه إيجابياً ، وتعمم مؤيداً :

- وحده ياسيادة العميد .

وعندئذ اتعدت حاجبا العميد (ماهر) أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ولدقيقة كاملة ، لم يتحرك من مكانه قيد أنملة ..

كان من الواضح أن عقله منهمك تماماً فى التفكير ..

وربما على نحو نادر الحدوث ..

للغاية !

ثم فجأة ، التفت إلى سكرتيره ، قائلاً :

- هذا أمر خطير .. تطوّر خطير للغاية .

غمغم السكرتير ، والالفعال يغمره :

- بالتأكيد ياسيدى .. بالتأكيد .

استغرق العميد (ماهر) فى التفكير ، بضع لحظات أخرى ،
ثم عاد يندفع نحو مكتبه ، وهو يقول فى صرامة ، حملت
الكثير من التوتر والعصبية ، ولمحة من القلق :

- لا بد من إبلاغ القيادة فوراً .

اندفع السكرتير ، محاولاً اللحاق به ، وهو يغمغم :

- ولكن ياسيدى ..

قائعه بمنتهى الصرامة :

- اصمت .

وعندما بلغ باب حجرته ، التفت إليه ، مستطرداً بلهجة
أمره صارمة :

- صلني بسيادة اللواء فوراً .. ومن خلال القناة العسكرية
الخاصة المؤتمنة .. أريد اتصالاً محدوداً للغاية ، مع كل الضمائم
اللائمة ، لعدم كشف فحوى المحادثة ، بأية وسائل رقمية
أو تكنولوجية .

ضمغم السكرتير العسكري ، وهو يندفع لتنفيذ الأمر :

- فوراً ياسيدى .. فوراً .

دلف العميد (ماهر) إلى مكتبه ، والتوتر يسرى في كل
ذرة من كيانه ، وألقى جسده على مقعده ، وعاد يشبك
أصابع كفيه أمام وجهه ، ويغرق في تفكير عميق ..

صيق ..

صيق ..

صيق إلى أقصى حد ..

ومن أصلى ذكركه ، تصاعدت ذكريك عدة أسابيع
ماضية ..

ذكريات تلك اللحظة ، التي وصل فيها جسد ذلك المسخ
إلى إدارته ..

إدارة الأبحاث العلمية العسكرية ..

لحظتها رجته للمفاجأة من الأعماق ، وهو يحدق في ذلك
التكوين العجيب ، الذي وصل شبه مجمد ، وبصحبه ضابط
بلوقه رتبة ، واجهه بمنتهى الصرامة ، قائلاً :

- هذا الشيء يندرج تحت مسئوليتك المباشرة ، منذ هذه
اللحظة أيها العميد .

تساعل يوماً في توتر :

- وما هذا الشيء بالضبط ؟

أجاب الضابط بنفس الصرامة :

- ستصك كل المعلومات من القيادة بعد قليل .

ثم مال نحوه ، مستطرداً :

- الأمر يندرج تحت بند السرية المطلقة .

ضمغم لحظتها :

- هذا واضح .

اعتدل الضابط الكبير ، وقال بصرامته العسكرية :

- قم بعصك إذن .

راح يومها يلقى أوامره في سرعة، للفرق من الفضل رجلاه ؛
لاتخاذ ما يلزم إزاء هذه الحالة الفريدة، ثم سأل الضابط الكبير :

- إنه على قيد الحياة .. أليس كذلك ؟

أجابته الضابط بإيماءة من رأسه ، وهو يقول :

- لسنا ندرى إلى متى يمكن أن يستمر هذا .

تساءل هو :

- أينبغي أن نبتذل جهننا ، للإبقاء عليه حياً ؟

صمت الضابط بضع لحظات ، ثم أجاب في صرامة حاسمة :

- ليس لفترة طويلة .

لم يفهم يومها ما الذي يمكن أن يعنيه هذا ، إلا أن
الضابط الكبير تابع في حزم :

- الأوامر ستصل ، بين لحظة وأخرى ..

ولم يمض وقت طويل ، حتى وصلت الأوامر ..

والواقع أنها كانت تختلف عن كل ما توقعه ..

تختلف تماماً ..

ولكنه ، كضابط أبحاث محترف ، وعلى الرغم من كل
دهشته وشكوكه ، نفذ الأوامر الواردة ..

نفذها كلها ..

وبمنتهى الدقة ..

ولقد استلزم الأمر فريقاً من الخبراء ..

من أفضل خبراء الإدارة العسكرية ..

وحتى من غير العسكريين ..

فبالنسبة للقيادة ، لم يكن التعامل يتم مع بقايا جسد
مسجى مصاب ..

أو حتى يسعى لاستعادة قدراته ..

كان التعامل ، كما تؤكد الأوامر ، يتم مع سلاح جديد ..

سلاح حربى سرى ..

سلاح فاتق الخطورة ..

إلى أقصى حد ..

وعندما تم استدعاؤه إلى الإدارة ، بعد بدء التجربة فعلياً ،
لخبره سيادة اللواء أن ذلك السلاح لحيوى الجديد ، يعتبر أخطر
سلاح عرفته البشرية كلها ، بعد القنابل النووية والهيدروجينية ..

أخطر سلاح على الإطلاق ..

يومئذ ، منحوه كل التسهيلات التي طلبها ..

واعتمدوا ميزانية غير محدودة ..

ميزانية مفتوحة ..

ومرنة للغاية ..

ومنذ ذلك الحين ، راحت التجربة تتطور ..

وتتطور ..

وتتطور ..

وها هي ذى الآن ، تشارف بلوغ مرحلة النجاح التام ..

والمطلق ..

و

« سيادة اللواء ياسيدى .. »

انتزع نفسه من ذكرياته بحركة حادة ، واعتدل في

سرعة ، يضغط زر الاتصال المؤمن ، وهو يقول :

– مساء الخير ياسيادة اللواء .

ظهر وجه اللواء على الشاشة ، وهو يسأله في صرامة
عسكرية :

– ماذا هناك يا سيادة العميد .

تتحنح العميد (ماهر) لحظة ، قبل أن يقول :

– هناك تطوّر غير متوقّع في العملية (من – صفر)
ياسيادة اللواء .

اتعقد حاجبا اللواء في توتر ، وهو يسأله :

– أي تطوّر هذا ؟؟

تتحنح للعميد (ماهر) مرة أخرى ، وقال :

– سأخبرك ياسيادة اللواء .. سأخبرك .

ولقد استغرق حديثهما بعدها ساعة كاملة ..

ساعة شرح خلالها للعميد (ماهر) مآلديه ..

كل مآلديه ..

شرح أمر لقاء (نور) والدكتور (حجازى) ..

وحتى مشكلة تلك التنبّهات غير المفهومة ، ففئة القوة ..

وبكل اهتمام ، أصغى إليه اللواء جيدا ..

ولم يقاطعه بحرف واحد ..

وعندما تنتهي من كل ما لديه ، زدنا انعقاد حلجبي للنواء ،
وهو يقول في صرامة :

- تطوّر سخيف للغاية .

تعمّم العميد (ماهر) :

- بالتأكيد .

صمت للنواء بضع لحظات ، ثم قال بنفس الصرامة والحزم :

- فليكن أيها العميد ، استمع إلىّ جيداً ، والفتح لأننيك
ومحك ، وكل حواسك الأخرى ، فمن الضروري أن تنفذ
ما سأمرّك به حرفياً .. وقوراً .. هل تفهم ؟؟

ثم ألقى للنواء أوامره ..

تلك الأوامر ، التي ستنتقل العملية كلها إلى مرحلة جديدة ..

مرحلة شديدة الحساسية والخطورة ..

إلى أقصى حد ممكن .

٧- اتصال ..

للوهلة الأولى ، تصوّر (نور) أنه قد سقط ..

سقط في براثن عقل جبار ..

رهيب ..

شديد ..

وحشي ..

وشيطاني ..

للحظة ، بدا له أن اسمه قد أضيف إلى القائمة ..

قائمة الضحايا ..

فذلك التغيير العنيف للمعاجين ، لم يكن يعنى سوى هذا ..

سوى أن شيئاً ما قد فصله عن عالمه الحقيقي ..

تماماً ..

فكل ما يحيط به قد تغير ..

وتبدل ..

وختلف ..

كل ما يحيط به ..

وما يعتدل في أعماقه أيضًا ..

فكل مشاعره أيضًا قد تغيرت ..

وعلى نحو بالغ الغرابة ..

للحظة ، كان يشعر بتوتر بالغ ، وبأن الأمور كلها قد
تشابكت ..

وتداخلت ..

وتعقدت ..

ثم فجأة ، هبت عليه سكونة عجيبة ، وشمله هدوء مدهش ..

هدوء سرى في كل خلية في جسده ..

وكل ذرة في كيانه ..

هدوء مريح ..

جميل ..

رائع ..

وبسرعة ، أدرك عقله أن الأمر يختلف ..

يختلف تمامًا ..

ففي حالة (سلوى) و(مشيرة) ، لم يكن هناك أي هدوء ..

ولا في أية لحظة ..

كان الأمر يرتبط دومًا بالظلام ..

والخوف ..

والقسوة ..

والألم ..

أما في حالته ، فلا ظلام ..

إبه يشعر وكأن بحرًا من أضواء ناعمة ملونة يحيط به ..

بحر بث في كيانه كله شعورًا بالراحة ..

والأمان ..

والارتياح ..

ثم إن جسده بدأ وكأنه يسبح في نك البحر لدافئ لرفيق ..

يسبح ..

ويسبح ..

ويسبح ..

ومن حوله ، راحت الأضواء تتساب في نعومة ، وتسبح

في رقة ، وتحيط به ويمشاعره في رفق ..

وانطلق عقله يعمل ..

اتطلق يستعيد ذكريات قريبة ..

ذكريات سيطرة عقلية من نوع آخر ..

نوع مختلف ..

سيطرة إيجابية ..

إلى حد مذهش ..

وفى نعومة ، وبنفس الرقة والرفق ، راحت الأضواء
للدافئة المحيطة به تتحسر ..

وتتحسر ..

وتحسر ..

ثم فجأة ، وجد نفسه هناك ..

حيث كان من قبل (*) ..

فى أصمق جبال (التبت) ..

فى قلب ذلك المعبد ..

المعبد البوذى القديم ..

كان يقف فى منتصف دائرة واسعة ، صنعها الرهبان
بأجسادهم ، وهم يجلسون للقرنصاء ، فى وضع جامد ساكن ..

(*) راجع قصة (البقعة المظلمة) .. المغررة رقم (١٤٦) .

وعوسهم ثابتة ..

عيونهم مغلقة ..

وعقولهم منطلقة ..

كان الموقف يشبه تمامًا سابقه ..

مع فاروق واحد ..

أنه كانت هناك ، إلى جوار (نور) ، وفى منتصف الدائرة
تمامًا ، جثة ..

جثة كبير الرهبان السابق ، الذى اعتصرت يد مجهولة عنقه ..

يد قوية ..

لحيلة ..

فاسية ..

شيطانية ..

وفى توتر شديد ، تطلّع (نور) إلى جثة كبير الرهبان ،
وإلى آثار الأصابع التحيلة الطويلة على عنقه ..

وفهم الأمر ..

فهم على الفور ..

« تفكيرك راجح وعبقري أيها المقدم .. »

تردأت العبارة في أعماق أصاقي عقله ، كما حدث في
المرّة السابقة ، فاعتدل في حزم ، وغمغم :

- الأمر واضح للغاية .

« للأتكاء فقط أيها المقدم .. »

كان قد اعتاد هذا الأسلوب العقلي في التخاطب معهم ،
لذا فقد قال في حزم ، محاولاً اكتساب الوقت :

- أعرف لماذا استدعيتوني إلى هنا هذه المرّة .

« هذه المرّة تختلف .. »

جاءه الجواب في سرعة ، فالتقى حاجباه ، وهو يسأل في
توتر واضح شديد :

- وفيه يختلف ؟؟

ألقى السؤال ، وذهنه يضع ألف جواب منطقي له ،
ويدرس عشرات الاحتمالات ..

إلا احتمالاً واحداً ..

ذلك الاحتمال ، الذي أجاهه به الرهبان ، عبر تلاهيف عقله ..

« أنت لست هنا .. »

هتف بكل دهشته :

- لست ماذا ؟؟

« لست هنا أيها المقدم .. أنت ملزمت هناك ، في حجرة مكتب
كبير الأطباء الشرعيين ، في (لقاهرة) الجديدة .. ما زلت تقف
ممسكاً جهاز الاتصال المحدود ، في سبيلك إلى أن تروى لقلبك
الأعلى ما حدث ، وتطلب منه أن يتكلم ؛ لمعرفة مصير جسد
ذلك الغريب .. »

عاد يكرّر ، بكل حيرته ودهشته :

- لست هنا .

« إحضارك إلى هنا كان يستلزم طاقة هائلة ، وقوة لا قبل
لنا بها ، في الوقت الحالي ، لذا فقد تركناك هناك ، وجلبنا
عقلك .. عقلك وحده .. »

اتعقد حاجبا (نور ؟) بمنتهى الدهشة والتوتر ، وراح
يدير عينيه فيما حوله ، وهو يتساءل في أصاقيه : أمن
الممكن أن يكون هذا صحيحاً ؟؟

أهو ليس هنا بالفعل ؟؟

ليس داخل ذلك المعبد البيوذي العتيق ؟؟

مستحيل !

إنه يرصد كل ما حوله فى وضوح ..

جدران المعبد ..

قبيته ..

لقوشه ..

تمثال بوذا الضخم فى نهايته ..

والرهبان ..

وجثة كبيرهم ..

يرصد ويرى كل ما حوله ..

ومن حوله ..

كيف لا يكون هنا إذن ؟؟

كيف ؟؟

كيف ؟؟

هذا مستحيل !

« لاتجعل عقلك يخدعك فيها المقدم .. إنك لست هنا .. ولكن هذا لا يهم الآن .. المهم أن نتعاون مرة أخرى ، لمواجهة ذلك الشيء ، قبل أن يظفر بنا ويكم بلا رحمة .. »
تردأت الكلمات فى أعماق عقله ، وشعر معها بالتوتر ، وهو يتساءل فى قلق شديد :

روايات مصرية للجيب .. ملف المستحيل

- أهذا ما يسعى إليه ؟ أن يظفر بنا جميعاً ؟!

أتاه الجواب بالتمنا والتمنا ، فى أعماق عقله ..

« هذا هدفه فى النهاية ، على كل الأحوال .. »

هز (نور) رأسه ، وهو يقول :

- إذن فقد عاد .

توتره كان يتصاعد ، ويتصاعد ، فى كل لحظة تمضى ، مع كل ما يتكشف له من أمور ، وما يتضح له من نتائج ..

فيوسيلة أو أخرى ، عاد ذلك الوغد ..

عاد خصمهم الرهيب ..

عاد أقوى مما كان ..

لينتقم ..

ليقضى على كل من تسببوا فى ضياع حلمه السابق ..

حلم السيطرة على العالم ..

على البشر ..

على كافة العقول ..

بلا استثناء ..

ومن الواضح أنه يتطور ..

ويتطور ..

ويتطور ..

قدراته نفسها تتزايد في كل لحظة ، وتبلغ مستويات لم تبلغها من قبل قط ، حتى في أقوى لحظاته ..

مستويات رهيبة ..

مخيفة ..

بشعة ..

في البداية غرس أصابعه في كتف (سلوى) ..

ثم اعتصر معصم (مشيرة) ..

والآن سحق عنق كبير للرهبان ..

قوته إذن تتزايد ..

وتتزايد ..

وتتزايد ..

قوته تقفز إلى مستويات ، تجاوزت قدرات الجميع ..

حتى رهبان (التبت) أنفسهم ..

« نحن لانؤمن بقدرته على العودة .. » ..

تردّت العبارة فجأة ، في أصق أصاق مخه ، فرفع عينيه ، وألحها في وجوه الرهبان من حوله ، قبل أن يقول في توتر :

- ولكنه عاد .. أليس كذلك ؟

« عقولنا تقول العكس تمامًا .. » ..

أدهشه ذلك القول ، الذي ثبت في عقله ، وجعله يهتف :

- أيًا كان ما تقوله عقولكم ، فهناك ألف دليل الآن ، على أنه هنا .. هنا بقوة ، وشروره ، ورغبته السادية في تدمير كل من حوله .

« الواقع أن الأمر ليس بهذه البساطة أيها المقدم .. » ..

تردّت العبارة في عقله ، حاملة مشاعر القلق والتوتر في أصاقهم ، فلاذ بالصمت التام ، وأرّهف عقله جيدًا ..

« منذ بدأ صراخا معه ، ورصدت عقولنا موجته ،

وخزنتها ، وصنعت نوعًا من الرباط المتصل ، بيننا وبينه ..

نفس الرباط الذي يربط عقولنا جميعًا ببعضها .. رباط

يجعلنا نرى كل ما يراه ، ونسمع كل ما يسمعه ، بل ونشعر

حتى بكل ما يشعر به .. »

غمغم (نور) :

- لست أتمنى أبداً وجود رباط كهذا ، بيني وبين وغد مثله .

لم يبد أن تعليقه قد استوقف التسباب المعطومات إلى رأسه ، وهي تتواصل بنفس النعومة ..

« عندما تصاعدت قوته ، شعرنا بهذا ، وأركاناه ، وتأثرنا مع فريقك ، ونجحنا معاً في دحر قوته ، مما سمح لزميلكم بإطلاق رصاصاته عليه .. »

غمغم (نور) في توتر :

- لم أتصور لحظتها أن هذا قد حسم الأمر .

« ولكن عقولنا قالت : إنه قد حسمه .. » ..

لم يهضم عقله العبارة هذه المرة ، وشعر كيانته كله بالرفض والاستنكار لها ، فلاحتج قاتلاً :

- ولكن الدكتور (حجازي) أكد أنه ظل على قيد الحياة ، على الرغم من إصابته بالبلغم .

« لم يظل كذلك طويلاً .. »

أدهشه القول بشدة ..

وأريكه بحق ..

أدهسه ؛ لأنه يخالف كل ما توحي به الأحداث ..

وأريكه ؛ لأنه قلب كل تصوراته رأساً على عقب ، وسحق كل استنتاجاته بلا رحمة أو هوادة ..

وبكل دهشته وارتيابه ، غمغم :

- ما الذي يعنيه هذا ؟!

« لقد عاد نصف مخه الآخر إلى نشاطه ، وفجر طاقاته للكامنة ، وبدأ يسعى لاستعادة السيطرة المنقرضة على جسده ، ولقد شعرنا بهذا في حينه ، وتبعنا تطوره في قلق في البداية ، ثم لم نلبث أن أدرنا أنه قد فقد في الواقع نقطة تفوقه الرئيسية ، وأنه لن يعود أبداً كما كان .. »

هزّ (نور) رأسه في قوة ، وهو يقول في إصرار :

- ولكنه عاد .

آتاه الجواب هادئاً كالمعتاد ، وتسلل إلى تلافيف مخه في نعومة ..

« بل لقي مصرعه .. »

هتف (نور) بكل إصراره :

- هذا مستحيل !

« بل هذا ما حدث .. لقد فحصوه جيدًا ، وحصلوا على بعض العينات البيولوجية منه ، ثم صنر قرار بإنهاء حياته .. »

هتف (نور) ، بكل دهشة الدنيا :

- قرار بماذا ؟؟

كان الأمر كله يبدو بالنسبة له ، كما لو أنه يتابع أحداثًا ، تدور في كوكب آخر ، أو في عالم لاصلة له به ..

لقد لتحموا حجرة الفحص ..

وهذوا الدكتور (حجزي) ..

واستولوا على جسد ذلك المسخ ..

وحصلوا على عينات بيولوجية منه ..

ثم أصدروا قرارًا بإنهاء حياته ا

ما الذي يحدث بالضبط ؟؟

ما الذي يسعى إليه العسكريون ؟؟

ما هدفهم بالضبط ؟؟

وأية عينات تلك التي حصلوا عليها ؟؟

ولماذا ؟؟

وبكل توتره وحيرته ، تساءل :

- وهل نغفوا قرارهم ؟؟

« نعم .. نغفوه فورًا .. »

مع العبارة ، التي ترددت في رأسه هذه المرة ، ارتسمت صورة ما ..

صورة بدأت مهتزة ، مشوشة ، باهتة ..

ثم راحت تتضح ..

وتتضح ..

وتتضح ..

وقجأة ، وبلا مقدمات ، بدا المشهد كله شديد الوضوح ..

كان جسد ذلك المسخ مسجى على منضدة فحص ، داخل حجرة واسعة كبيرة ، ويحيط به فريق من الباحثين ..

وفي كل مكان ، كانت هناك عشرات الأجهزة الرقمية الحديثة ..

أجهزة تسجل معدلات النبض ..

والتنفس ..

واستجابة الأطراف ..

وإشارات المخ ..

المخ المنفرد الجديد ..

وكانت كل المؤشرات تؤكد أن المسخ يستعيد نشاطه ..

وأن قدراته البيولوجية تتحسن ..

وتتحسن ..

وتتحسن ..

كان أمراً فريداً مذهناً ، يخالف كل القواعد العلمية والطبية ..

ولكنه كان يحدث ..

ويتطور مثير ..

جداً ..

تطور يوحى بأنه لن تمضى أيام قليلة ، إلا ويعود ذلك المسخ إلى الحياة ، وإلى حالة الوعي التام ..

أما تلك العين الثالثة ، في منتصف الجبهة ، فكانت تتابع ذلك الفريق ، بمنتهى الاهتمام والدقة ..

وفي حيرة متوترة ، ضمغم أحد أفراد الفريق الطبي :

- عجباً ! يفترض ، وفقاً لكل التقارير ، أن هذه العين عيياء ، لا يمكنها أن تراقب ، وعلى الرغم من هذا ، فهي تتابعنا بمنتهى الدقة والاهتمام ، كما لو أنها تراقبنا بكل وضوح .

قالت زميلته بنفس التوتر :

- ربما تحوى خلايا التقاط حرارية ، تتبع حرارة أجسادنا ، على نحو ما .

هز رأسه نفيًا ، وقال :

- مطلقاً .. الفحوص كلها أكدت أنها مجرد عين عيياء .

قال ثالث في عصبية :

- وجودها وحده ظاهرة فريدة .

ضمغمت زميلة :

- الواقع أنها تشيخ خوفاً .

قال رابع :

- لست وحدك .
١٠٣ - ملف المستقبل عدد (١٤٧) الصحوة الكبرى

مع آخر حروف كلماته ، دلف أحد الضباط إلى المكان ،
و شد قامته ، فى وقفة عسكرية صارمة ، وهو يقول :

- القيادة أخطرنا أن نتأج العينات إيجابية أيها السادة .

تساءلت الطيبة فى حيرة :

- أية عينات ؟؟

أما زميلها ، فقل فى توتر :

- وما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟؟

لم تكن عبارته قد اكتملت بعد ، عندما دخل جنديان
مسلحان إلى الحجره ، فتبعتهما عيون أفراد الفريق الطبى
فى قلق ، والضابط يقول فى صرامة شديدة :

- يعنى أن مهمتكم قد انتهت أيها السادة .

هتف آخر ، بمنتهى الدهشة والقلق :

- انتهت ؟؟ ولكن الحالة تتطور على نحو جيد للغاية ،
ولو أن أمالنا أسبوع آخر ، لأعدنا ذلك الشيء إلى حالة
شبه طبيعية .

قال الضابط فى صرامة :

- ومن يرغب فى هذا ؟؟

ثم أثار إلى أحد الجنديين ، فرقع فوهة مدفعه ، وصوبها
إلى رأس المسخ ، فدارت العين الثالثة نحوه ، فى حركة
حادة ، جعلت جسده يرتجف فى غضب ، وجعلته يتراجع
مبهوتاً ، فصاح به الضابط ، فى غضب صارم :

- تماسك أيها الجندى .

التقط الجندى نفساً عميقاً ، وهتف ، محاولاً التغلب على
توتره ومخاوفه :

- بالتأكيد ياسيدى .. بالتأكيد .

وعاد يصوب فوهة مدفعه إلى رأس المسخ ، فهتفت
الطيبة فى عصبية ، وهى تتراجع مذعورة :

- ما الذى ستفعلونه بالضبط ؟؟

أجابها الضابط فى صرامة :

- ليس هذا من شأنك ياسيدتى .

ثم اتعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف فى قسوة :

- ماذا تفعلون هنا بالضبط ؟؟ لقد أخبرتكم أن دوركم قد
انتهى .

تردد أحد الأطباء لعابه فى صعوبة ، وتمتم فى توتر :

- سيدى .. هذه الحالة ..

قاطعها الضابط بصيحة صارمة :

- إلى الخارج .

ثم استدار إلى الجندي الآخر ، صالِحًا :

- أيها الجندي .

رفع الجندي الآخر لوجهه منفعه نحو فريق الأطباء ،
فهتفت الطبيبة مذعورة ومرتاعة :

- سأغادر .. سنغادر جميعًا فورًا .

اندفعوا لمغادرة المكان ، في ارتياح واضح ، حتى خلا
تمامًا ، إلا من الجنديين وضابطهما ، وذلك المسخ المسجي
على مائدة الفحص ، والذي راحت عيناه الثالثة ترصد
ما يحدث ، في انتباه كامل ، وخاصة عندما ابتمس الضابط
في سخرية ، وهو يقول :

- حانت نهايتك أيها الشيء الحقيق .

استدارت العين الثالثة عنده ، وحققت في الضابط مباشرة ،

فتراجع بحركة حادة ، وصاح في الجندي :

- الآن .

وضغط الجندي زناد مدفعه ..

واتفلس جسد (نور) في عنف ، مع بلوغ المشهد هذه
للمنطقة ، قبل أن يتلاشى تمامًا ، و ...

« هل تأكدت بنفسك أيها المقدم ؟! »

انسحب للتساؤل في تلافيف مخه ، في اللحظة التي بلغت فيها
الفعالاته ذروتها ، فهتف :

- ألا يمكن أن ..

قبل أن يكتمل تساؤله ، أتاه الجواب عبر عقله مباشرة ..

« مستحيل ! لقد لقي مصرعه في تلك اللحظة ، وعقلك
شاهد الآن كل ما شاهدناه نحن لحظتها ، عبر اتصالنا العقلي
الفائق .. »

هز (نور) رأسه ، وهو يقول في توتر :

- ما الذي يهاجمنا إذن ؟!

« عقل آخر .. » ..

وصدمه الجواب بعنف هذه المرة ..

عقل آخر ؟!

عقل جبار آخر ؟!

يا للهول !

كيف يمكن أن يكون هناك عقل آخر ، بكل هذه القوة ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

كيف يمكن أن تنبت طفرة وراثية ثانية كهذه ؟!

وبكل مخاوفه ، تساعل :

- أنتم والثقون ؟!

أجابوه في وضوح أكثر ، عبر خلايا مخه الرمادية ..

- « ما حدث ليس له تفسير آخر .. هناك عقل جديد .. عقل

أكثر قوة ، وأقدر على الانطلاق بلا حدود .. عقل يبدو أنه قد

بلغ مرحلة من التطور ، جعلته قادراً على تجاوز كل احتياجات

للجسد الحتمية ، والانطلاق إلى أقصى حدود القوة .. »

تضاعفت حيرته ألف مرة ، وهو يفهم :

- ولكن الأحداث كلها تقول : إنه قد عاد لينتقم .. أى تفسير

لديكم لهذا ؟!

« ليس لدينا أى تفسير .. »

ترددت العبارة في ذهنه ، فاتفق حاجباه في شدة ،

لتضاف إليها عبارة أخرى باهتة ..

« هذه مهمتكم .. » ..

ومع آخر حروف الكلمة ، عادت تلك الأضواء الملونة

تحيط به ، بنفس الدفء والنعومة والرفق ، و ..

« ما المشكلة يا (نور) ؟! .. » ..

استقبلت أذنه السؤال هذه المرة ، بصوت القائد الأعلى

للمخابرات العلمية ، فانتفض جسده ، والتقى حاجباه في شدة ،

ولتبه إلى أنه مازال داخل مكتب الدكتور (حجازى) ، بمسك

جهاز الاتصال المحدود ، والقائد الأعلى يقول فى قلق :

- (نور) .. أين ذهبت ؟!

أثار السؤال مزيداً من توتره ، فقال فى سرعة :

- معذرة يا سيدي .. لقد تشتت ذهني بعض الوقت ، و ...

قاطعته القائد الأعلى فى دهشة :

- بعض الوقت ؟! أنت توقفت عن الحديث لحظة .. لحظة

واحدة يا (نور) ..

لحظة واحدة ١٢

وتضاعفت دهشته ألف مرة ..

بل ألف ألف مرة ..

بالغربة العقل البشرى ا

كل هذا حدث في لحظة واحدة ١١

لحظة واحدة لقي خلالها كل تساؤلاته ..

وتابع مشهد اغتيال ذلك المسخ ..

وانتقل بعقله إلى أقصى العالم ..

كل هذا في لحظة واحدة ..

لحظة واحدة فضرب ..

« ماذا دهك يا (نور) ؟! »

هتف للقائد الأعلى بالسؤال ، في قلق أكثر ، عبر جهاز

الاتصال المحدود ، واعتدل الدكتور (حجازى) ، متطلعا إلى

(نور) في قلق مماثل ، وغمغم :

- (نور) .. أنت بخير يا ودى ؟!

انتفض جسد (نور) مرة أخرى ، وعاد حاجباه يلتقيان
بشدة ، وهو يقول للقائد الأعلى :- سيدي .. أطلب مقابلتك فوراً ، لأمر شديد الأهمية
والخطورة ، إلى أقصى حد .وكان هذا يعنى أن (نور) قد قرّر نقل المعركة كلها إلى
مضمار جديد ..

مضمار أكثر خطورة ..

وأكثر حساسية ..

ألف ألف مرة ..

* * *

« لست أفهم ما يحدث بالضبط .. » ..

هتف رئيس الفريق العنسى ، فى مركز الأبحاث العسكرية
بالتعبارة ، فى غضب شديد ، وهو يخضع مرغماً إلى إجراءات
الأمن المشددة ، التى أصدر العميد (ماهر) أوامره بها ، منذ
ساعة واحدة ، فاعتقد حاجبا هذا الأخير ، وهو يقول فى صرامة :

- ما الذى لا تفهمه بالضبط ؟؟

هتف رئيس الفريق فى حدة :

- كل شيء .. إنكم تتعاملون معنا كما لو كنا مجرد ..
مجرد ..

قاطع العميد (ماهر) ، فى صرامة أكثر :

- مجرد ماذا ؟؟

احتقن وجه الرجل ، وهو يلوح بذراعيه ، وقد اختلقت
الكلمات فى حلقه ، وعجز عن التعلق بها ، فأجابت زميلته ،
فى حدة واضحة :

- مجرد موظفين صغار ، لاشأن لنا .

تطلع إليها العميد (ماهر) بضع لحظات فى صمت ، قبل
أن يبتسم فجأة ابتسامة مقببة ، قائلاً :

- بالنسبة لأمر كهذا ، أنتم بالفعل مجرد موظفين
صغار .. لاشأن لكم .

تفجر غضب مستنكر ، فى وجوههم جميعاً ، وقال رئيس
الفريق ، وقد احتقن وجهه فى شدة :

- متحاسب على هذا القول .

أشار العميد (ماهر) بيده ، قائلاً فى غنظة :

- فليكن .. المهم أن نحمل هذا السلاح السرى الخطير
أولاً ، وبعدها لاشيء بهم .

صاحت العاملة فى وجهه بغضب :

- أنسى أننا نحن صنعنا هذا الشيء ؟؟ نحن الذين أنتجناه ،
وطورناه ، وساعدناه على اكتساب طاقته وقدراته الجديدة .

مط العميد (ماهر) شفطيه ، قائلاً :

- اعملوا على حمايته إذن .

تدفع رئيس الفريق ، يقول :

- أنت تعلم أن هذا الشيء لا وجود له ، من الناحية الرسمية ،
وأن أحدًا لا يعلم حتى بأننا قد أجرينا هذه التجربة ، أو أننا
بانتاج وتطوير هذا الـ

قاطع العמיד (ماهر) فى ضجر :

- ما الذى تسعى لإثباته بالضبط !؟

لوح رئيس الفريق بيده ، وهو يشير إلى ذلك الشيء ،
مجيئاً :

- أننا أكثر من يرتبط به ، ويعرف المناسب لصالحه
تماماً .

ابتسم العמיד (ماهر) فى سخريه ، قائلاً :

- حقاً !؟

ثم مال نحوه ، مضيفاً فى سخريه أكثر :

- إنكم حتى لا تعرفون ما الذى يفعله ، عندما يطلق تلك
الذبذبات القوية .

قالت العالمه فى حده :

- إنكم لم تمنحونا الفرصه لمعرفة هذا .

أجابها فى سرعه وصرامة :

- كنت أتوى منحكم الفرصه .

ثم صمت لحظه ، قبل أن يضيف :

- ولكن الأمور تطوّرت فى سرعه .

تبادل فريق العلماء نظره متوتره ، ثم تساعل أحدهم فى
قلق :

- أيه أمور !؟

فى الظروف العائيه ، لم يكن العמיד (ماهر) ليفصح عما
لديه أبدأ ، إلا أنه ، وتحت ضغط التوتر الشديد ، وجه نفسه
يجيب فى توتر :

- بعضهم يشك فى أننا نفعل ما نفعله .

تبادلوا نظره أخرى ، قبل أن تهتف العالمه :

- مستحيل ! إننا لم نغادر المركز ، منذ بدأنا تجربتنا
هذه .

هزّ العמיד (ماهر) رأسه ، مضغماً :

- ولكن أحدهم علم ما يحدث .

كررت العالمة في حزم :

- مستحيل !

لتقط العميد (ماهر) نفساً عميقاً ، ثم قلل بمنتهى الصرامة :

- مستحيل أو غير مستحيل ! هناك شخص ما يعلم .

« وكيف علم !! »

ألقى رئيس الفريق السؤال ، في توتر شديد ، أثار انتباه واهتمام العميد (ماهر) ، فالتفت إليه في صرامة ، قائلاً :

- هل يشغلك السؤال ؟!

أجابته الرجل في جدية شديدة :

- أكثر مما تتصور .

كاد العميد (ماهر) يلقى عبارة ساخرة ، في هذا الشأن ، لولا أن لمح لشغف والاهتمام الشديدتين ، على وجوه الجميع ، فأجاب في حذر :

- يبدو أن أحدهم قد واجه شيئاً ما .. أو مر بتجربة عفيفة ، جعلتهم يتصورون أن الخصم القديم قد عاد .

ردت العالمة ، بمنتهى الدهشة والذعر :

- الخصم القديم ؟!

أوما العميد (ماهر) برأسه إيجابياً ، وهو يشير بيده ، قائلاً :

- نعم .. الخصم القديم ، قبيل مصرعه .

اتسعت عينا رئيس الفريق ، وهو يتمتم في ذهول :

- عاد ؟!

تبادل الكل نظرة صامتة ، مفعمة بالتوتر والقلق ، قبل أن تغمغم العالمة ، بكل ذعر الدنيا :

- هذا ما كنت أخشاه .

وتمتم زميل لها :

- لقد فعلها .

أما رئيس الفريق ، فقد أدار عينيه بحركة حادة ، نحو تلك الشيء الذي يراعونه ، والذي أنتجوه بتكنولوجيا مبهرة ، وحنق فيه بذعر واضح ، جعل العميد (ماهر) يسأله في عصبية :

- فم تفكر يا رجل .

غمغم رئيس الفريق ، وكأنه لم يسمعه :

- إذن فقد عاد .

هتف به العميد (ماهر) :

- من الذى عاد ؟؟

تابع رئيس الفريق ، وكأنه لم يعد يشعر بما حوله :

- عاد لينتقم .

هتف العميد (ماهر) ، فى عصبية بالغة :

- أيمكن أن يخبرنى أحكم ، ماذا يحدث هنا ؟؟

التفت رئيس الفريق إلى زميلته ، وقال فى قلق رهيب :

- تلك الذنبيات الفاتقة .

فهمت ما يقصده على الفور ، فطلقت شهقة قوية ، وهتفت :

- رياه ! رياه !

صرخ العميد (ماهر) ، وقد بلغت عصبيته ذروتها :

- ماذا يحدث بالضبط ؟؟

وهنا فقط ، استدار إليه رئيس الفريق ، وقال فى حزم

شديد التوتر والانزعاج :

- يجب إنهاء هذه التجربة فوراً .

خَيْل للعميد (ماهر) أنه لم يسمعه جيداً ؛ لذا فقد حدثق فيه بضع لحظات ، قبل أن يهتف مستنكراً :

- إنهاء ماذا ؟؟

أجابه رئيس الفريق فى توتر :

- هذه التجربة .. يجب أن تنتهى فوراً ، ودون إضاعة لحظة واحدة .

صاح فيه العميد (ماهر) :

- هل جننت يا رجل ؟؟

هتف رئيس الفريق :

- سأكون مجنوناً بالفعل ، لو سمحت باستمرار هذه التجربة الرهيبة .

ثم استدار إلى أفراد فريقه ، وهو يتابع ، فى عصبية شديدة :

- لقد أخطأنا منذ البداية يارفاق .. أخطأنا عندما بدأنا هذه التجربة .. أخطأنا عندما استجبنا لفضولنا العلمى ، وقررنا أن نتحدى الطبيعة على هذا النحو البشع .

ولحمرت عيناه على نحو عجيب ، وانتفض جسده فى قوة ،

وكفته يعانى من انفعال جارف ، وهو يلوح بذراعيه ، ويميل
بجذعه كله ، مكملاً فى ثورة مذعورة :

- لقد أطلقنا الوحش .. أعدناه مرة أخرى إلى الوجود ؛
ليفتك بكل من أزاله منه من قبل .

امتنع وجه العالمة بشدة ، وهى تقول :

- لقد أخطأنا .. لم يكن ينبغى أن نلعل هذا أبداً .

نقل العميد (ماهر) بصره بينهم فى استنكار ، قبل أن
يقول فى حدة :

- ولكنكم فعتموه .. صنعتم هذا السلاح ، الذى سيمنحنا
ثقوفاً مدهشاً ، على كل دول العالم ، والذى يفوق القنبلة
الذرية لث مرة .. السلاح الذى سيضعنا على رأس الأمم
كلها بلا منازع .

صاح فيه رئيس الفريق :

- ربما تكون قد اتجنا سلاحاً رهيباً بالفعل ، ولكنه موجه إلى
صدورنا ورعوسنا نحن ، وليس إلى رعوس أو عقول أعدائنا .

وعادت عيناه تحمزان على نحو مخيف ، وهو يكمل :

- لا بد من إنهاء التجربة .. لا بد من إنهاؤها الآن ، وقوراً ،
قبل أن تحدث الكارثة .

صاح به العميد (ماهر) فى غضب :

- على جثتى .

التقط الرجل نفساً عميقاً ، محاولاً السيطرة على أعصابه
الثائرة ، قبل أن يلوح بكفيه ، قائلاً :

- سيادة العميد .. إنك لا تفهم ما يحدث بالضبط ..

ذلك الشيء انطلق بالفعل من عقاله .. انطلق بكل قوته
وظايفاته ؛ لينتقم من كل من أساء إليه فيما مضى .

ردد العميد (ماهر) فى توتر ، وهو يرمق ذلك الشيء
بنظرة مستنكرة :

- فيما مضى ؟! أى قول هذا ؟!

قالت العالمة فى عصبية :

- إنه يتذكر .

هتف العميد (ماهر) فى حدة :

- مستحيل ! إنه مجرد .. مجرد .

قاطعه أحد أفراد الفريق فى توتر :

- لا تجعل المظاهر تخدعك .. هذا الشيء أقوى مما يبدو ..

حتى حواجزكم وأسواركم ، لا يمكنها أن تمنعه من الانطلاق
بلا حدود .

هزّ العميد (ماهر) رأسه غير مصدق ، وهو يقول :

- مستحيل .. إنه مجرد

قبل أن يتمّ عبارته ، لختطف رئيس الفريق فجأة أسطوانة
إطفاء ، وهوى بها على فك العميد ، صارخاً :

- حاول أن تلهم .

كانت مبادرة مفاجئة ، باغتت العميد (ماهر) بالفعل ،
فترجع جسده بمنتهى العنف ، وارتطم بالباب ، ليغلقه في
وجه جنوده ، في نفس اللحظة التي صاح فيها رئيس
الفريق ، بأحد الطعام الشبان :

- أسرع يا هذا .. أسرع بالله عليك ..

ثم لهث في عنف ، وكأما بذل جهداً خرافياً ، وهو يضيف :

- أتلّف هذا الشيء .

تنفع الجنود يضربون الباب بكتفهم من الخارج ، في محاولة
لاحتحام ذلك المعصل الخاص ، المؤمن ضد كل محاولات

الدخول غير المشروعة ، في حين التقط العالم الشاب
أسطوانة إطفاء أخرى ، وتدفع بها نحو ذلك الشيء ،
ورئيس الفريق يصرخ :

- أتلّفه .. مزقه تمزيقاً .. أنقذنا من اللجيم القادم
يا هذا .. أنقذنا بأى ثمن .

كان العميد (ماهر) يحاول التهور في صعوبة ،
ورأسه يدور في عنف ، عندما اندفع العالم الشاب نحو ذلك
الشيء ، ورفع الأسطوانة على ارتفاع ذراعيه ، ليهوى بها
عليه بمنتهى العنف ، و ...

وفجأة ، أظلمت الدنيا كلها أمامه ..

أظلمت على نحو مباغت مخيف ..

ثم هبت رياح قوية في وجهه ..

رياح جعلته يغلّق عينيه لحظة ..

لحظة واحدة ..

وعندما فتحتها ، كان ذلك العملاق يقف أمامه ..

عملاق هائل ، يبلغ ضعف حجمه تقريباً ، ويقف أمامه
بلا ملامح ، فيما عدا قم يحمل ابتسامة ..

ابتسامة ساخرة ..

ظافرة ..

شامخة ..

قاسية ..

شريرة ..

وحشية ..

وشيطانية ..

وارتجف العالم الشاب ..

ارتجف من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ..

ارتجف ..

وارتجف ..

وارتجف ..

وبصوت رهيب ، قال ذلك العلق :

- تريد القضاء على .. ليس كذلك ؟!

تجمدت السماء ، في عروق العالم الشاب ، وظل ذراعاه

يحملان أسطوانة الإطفاء الثقيلة ، وقلبه يخفق في عنف ..

ويخفق ..

ويخفق ..

وبنفس الصوت ، تابع العلق :

- يا للحماقة !

وبضربة بسيطة ، ألقي أسطوانة الإطفاء بعيداً ، ثم رفع يده ، ذات الأصابع التحيلة الطويلة وهو يضيف :

- فمن يحمل لى الموت ، أمنحه أشع ميئة .

قالها ، ثم هوى بيده ..

هوى بأصابعه الطويلة ..

النحيلة ..

المقاتلة ..

وشهق العالم الشاب ..

شهق بمنتهى القوة والألم ، عندما اخترقت الأصابع الرهيبة عنقه ، وفجرت أنهاراً من الدم بمنتهى العنف ..

وعندئذ .. عندئذ فقط تلاشى الظلام ..

وتلجج الرعب ..

بلا حدود ..

فبالنسبة للموجودين في الحجرة كان المشهد رهيباً ..

مخيفاً ..

مرعباً ..

ومحطماً لأعصاب أقوى الرجال وأشجعهم ..
 فالعالم الشاب كان يندفع نحو ذلك الشيء ..
 ثم توقف فجأة ..

وأمام عيون الجميع ، طارت أسطوانة الإطفاء من يده ،
 كما لو أنها قد تلقت ضربة عنيفة ..

ثم اخترق شيء ما عنق الشاب ..
 اخترقه بمتنهى القوة ..

والعنف ..

بلا هوادة ..

أو روية ..

أو رحمة ..

وتلجرت دماء العالم الشاب ، وسقط على ركبتيه ، وهو
 يطلق شهقة تلو أخرى ، في حين تراجعت زميلته ، وهي
 تصرخ ، بكل رعب الدنيا وهلعها :

- لا .. لا ..

لما العميد (ماهر) ، الذى شاهد ما حدث فى وضوح ، فقد

اتسعت عيناه عن آخرهما ، وتجمدت مشاعره كلها تماماً ،
 وسط صرخات أفراد الفريق العلمى ، الذين تدافعوا نحو
 الباب ، محاولين الفرار من المكان ، ورنيسهم بصرخ :

- لقد فعلها .. لقد تطلق من عقله .. لقد تجاوز كل الحدود ..

رند العميد (ماهر) ، فى ذهول ما بعده ذهول :

- مستحيل ! مستحيل ! مستحيل !

استعاد عقله ، فى لحظة واحدة ، كل ما حدث منذ البداية ..

وصول ذلك المسخ ..

أوامر القيادة ..

اتخاذ القرار ..

ومرحلة التنفيذ ..

استعادة عقله بداية التجربة ..

وتطورها ..

وذروتها ..

استعاد مخاطرهما ..

ومخاوفها ..

ومعارضاتها ..

وتلك الذبذبات فائقة القوة ، التي أربكت وحيرت وأثقلت كل العاملين في المشروع ..
 الذبذبات التي ظلت غامضة ..
 مبهمة ..
 مخيفة ..
 حتى أدرك الآن فقط ماهيتها ..
 لقد كانت تعبيراً عن تطلاق ذلك الشيء ..
 عن تجاوزه لكل الحدود ، وتحطيمه لكل الحواجز ،
 ومروره عبر كل المواع ..
 على الرغم من كل الإجراءات ..
 والنظم ..
 وحواظ الأمن ..
 لقد نجحت التجربة ..
 نجحت نجاحاً رهيباً ..
 وكما قال رئيس الفريق : لقد انطلقت دون ضابط أو رابط ..
 انطلق السلاح السري الرهيب ، نحو صدورهم ..

وأجسادهم ..

وكتوبهم ..

وعقولهم ..

اتفجر في وجوههم ، قبل أن ينفجر في وجود الأعداء ..

مرّ كل هذا في ذهنه ، خلال ثنية واحدة ، وهو يحرق في ذلك الشيء ، وفي بركة الدم المحيطة بجثة العالم الشاب ، ويسمع من حوله أفراد الفريق ، وهم يستميتون ، في محاولة للخروج من الحجرة ، التي استجابت أجهزة أمنها الإلكترونية للهرج البذي حدث داخلها ، فأوصدت كل مداخلها ومخارجها فوراً ، لحماية ذلك السلاح ..

السلاح السري الجديد ..

وفي انهيار تام ، هتفت العالمة :

- أخرجونا من هنا .. أخرجونا من هنا بالله عليكم .

وكاد رئيس الفريق يبكي ، وهو يقول :

- كان يجب أن تنهى التجربة .. كل من ينبغي أن تنهياها ،
 عندما كان باستطاعتنا هذا .

انعتقد حاجبا العميد (ماهر) ، وهو يغمغم :

- نعم .. ينبغي أن تنهياها .

سحب ممدسه ، وهو ينهض كالمنوم ، ويتجه نحو ذلك الشيء مباشرة ، في حين انهيار أحد العلماء تمامًا ، وهو يهتف :

- انتهى أمرنا .. سيقتلنا جميعًا حتمًا .

لم يسمعه العميد (ماهر) ، وهو يتجه نحو ذلك الشيء ، ويقترب منه ..

ويقترب ..

ويقترب ..

ويكل الحزم والعزم في أصغره ، وعنى لرغم من كل الأوامر الصادرة إليه ، ودون أن يفارق ذهنه مشهد العالم الشاب ، وهو يسقط صريعًا ، رفع العميد (ماهر) فومة ممدسه ، مغفمًا :

- ينبغي أن ننهيها .. فورًا ..

استدار إليه العلماء في رعب ، وتمنى كل منهم في أصغره أن يتم مهمته ، وأن يطلق النار ؛ لينسف ذلك الشيء بالفعل ، و ...

ولكن فجأة ، لم يعد المكان كما كان ..

لقد أحاط بهم بقعة ظلام رهيب ..

قلام داس ، جعلهم يصرخون في رعب ، وجعل أحدهم يسقط على ركبتيه ، هاتفاً في التهيار :

لقد ظفر بنا .

ولم يعلق أحدهم على قوله بحرف واحد ..

فأمام أعينهم مباشرة ، ومن موضع ذلك الشيء ، نهض عملاق رهيب ..

عملاق بلا ملامح ..

نهض يقول ، في ارتياح شيطاني عجيب :

- أخيراً أيها العميد ..

وارتجف رئيس الفريق ، من قمة رأسه ، وحتى أخصى قدميه ..

وشهق للعالمات الآخرين ، بكل رعب الدنيا ..

أما العالمة ، فقد سقطت فائدة الوعي ، عندما اتحنى العملاق على جسد العميد (ماهر) في سرعة ، وأمسك كتفه بيسراه ، ثم ضرب عنقه بيمناه ..

وظار رأس العميد (ماهر) ..

طار ليسقط وسط ذلك الظلام الرهيب ، ويتحرج إلى مالا نهاية ..

وهنا ، أطلق العملي ضحكته للرهيبة ..

ضحكته الساخرة ..

الظافرة ..

القسية ..

الشيطانية ..

الوحشية ..

الضحكة التي أعنت أنه قد عاد بالفعل ..

عاد أقوى مما كان ..

عاد ليلتقم ..

بمنتهى العنف ..

ومنتهى الوحشية .

[انتهى الجزء الأول بحمد الله
 و يليه الجزء الثاني بإذن الله]

(عودة الشر)